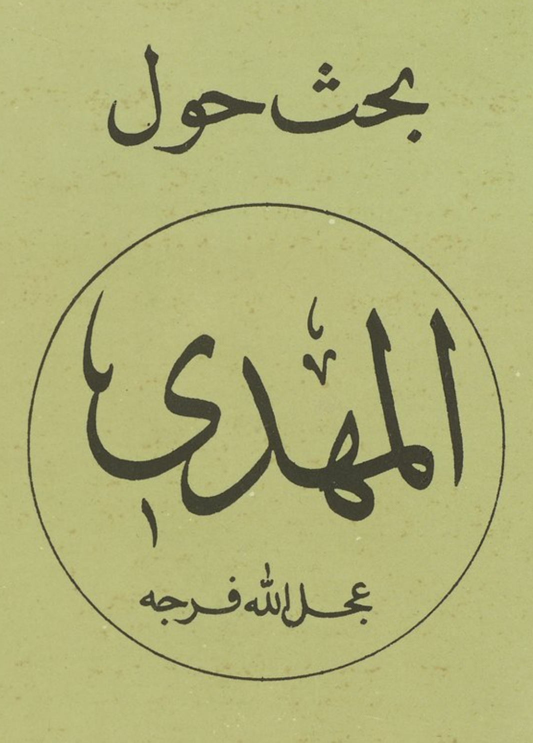


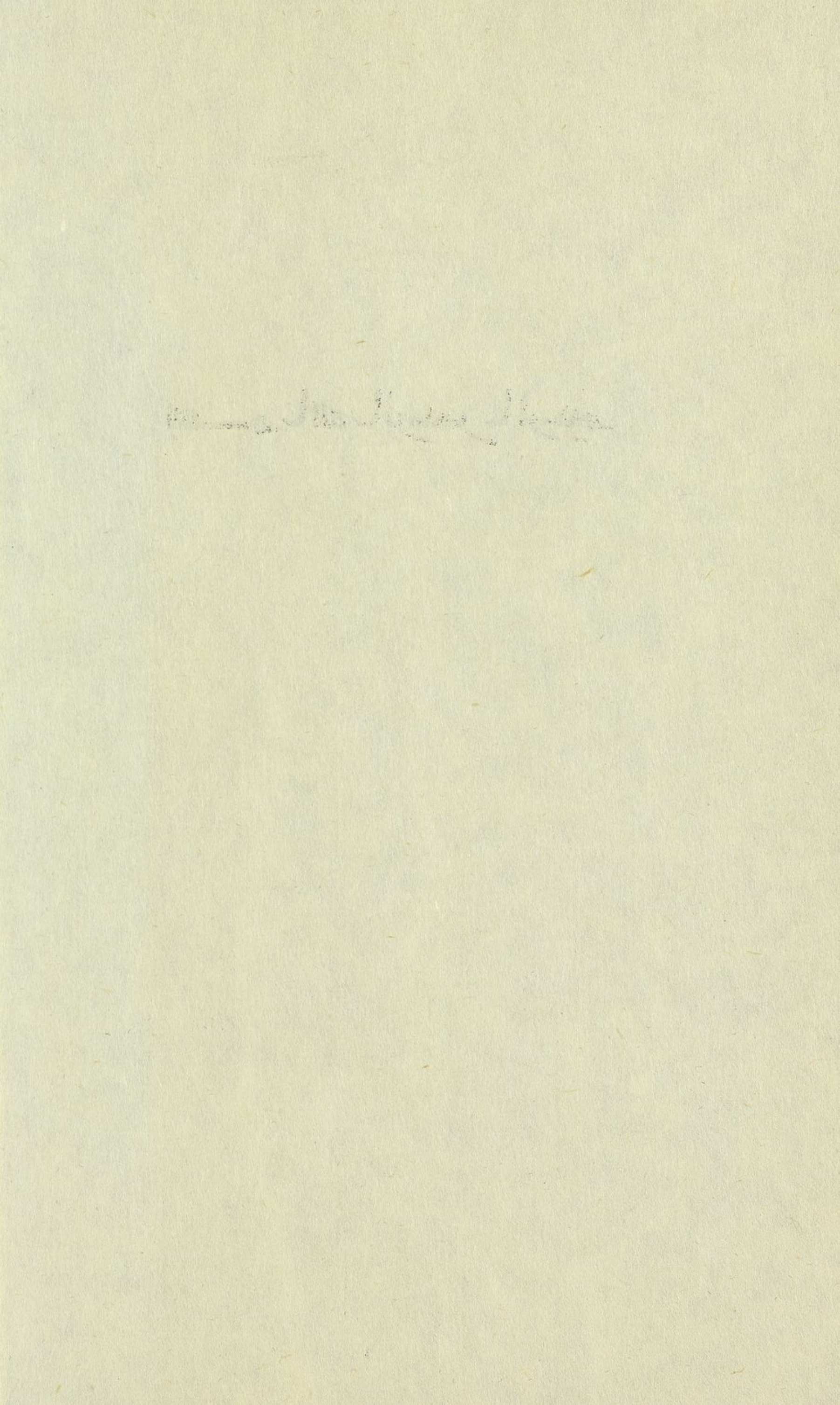
آية الله الشهيد محمد باقر الصّدر

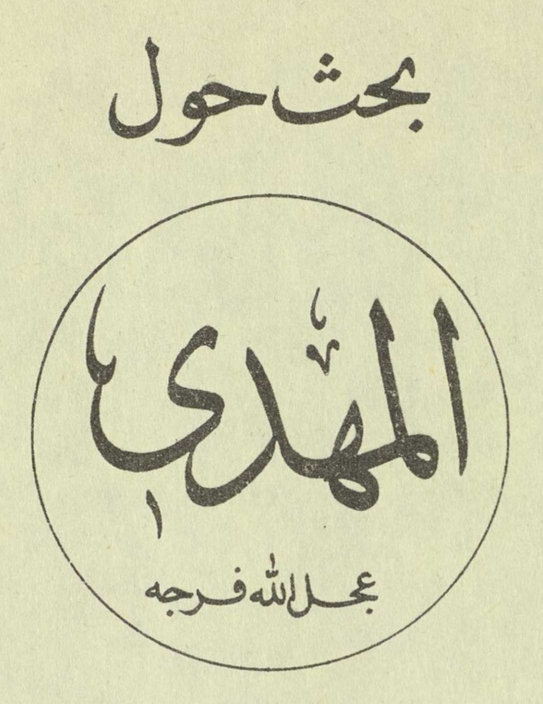


معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
في منظمة الاعلام الاسلامي


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
PAIR
32101 014473662

بسم الله الرحمن الرحيم





آية الله الشهيد محمد باقر الصّدر



معاونيّة العلاقات الدوليّة

في

منظمة الاعلام الاسلامي



الكراس: بحث حول المهدي مع مقدمة ضافية.

المؤلف: آية الله الشهيد الصدر ــ تقديم محمد علي التسخيري.

الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي.

الجمهورية الاسلامية في ايران ــ طهران ــ ص.ب: ١٤١٥٥/١٣١٣.

عدد النسخ: ٥٠٠٠ نسخة.

المطبعة: سبهر / طهران.

التاريخ: الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م.



الفهرست

مقدمة الناشر:

أسئلة مهمة يطرحها شهيد الأمة الاسلامية آية الله الصدر ويجيب عنها بكل متانة وإحكام في مقدمته التي كتبها بعنوان (بحث حول المهدي) وقد ارتأت هذه المعاونية نشر البحث من جديد مع مقدمة ضافية حول الموضوع نفسه للشيخ التسخيري سائلة المولى العلي القدير ان يوفقنا جميعا لخدمة ديننا الحنيف. انه نعم المولى ونعم النصير.

معاونية العلاقات الدولية
في منظمة الاعلام الاسلامي

قضية الامام المهدي(عج) وقواعد البحث المنطقية

من الضروري لأية دراسة في أي مجال بصورة عامة، وللدراسات التاريخية والاجتماعية والتشريعية، والعقائدية بصورة خاصة؛ ان تلتزم بقواعد البحث المنطقية لتضمن عدم انحرافها عن مسارها الصحيح، و بالتالي عدم تضييع هدفها المنشود، بل ربما تنقلب على هذا الهدف فتحار به دون أن تشعر.

إننا نعترف بأن الكثير من الباحثين طلبوا الحق ولكنهم أخطأوه و (ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه) كما يعبر اميرالمؤمنين علي بن أبي طالب(ع) في معرض النهي عن قتال الخوارج من بعده.[1]

و يمكننا بكل اختصار أن نقرر أهم هذه القواعد في الخطوط التالية:

١ ــ توفر مقومات المستوى المطلوب في الباحث بحيث يتلاءم والمشكلة المبحوث فيها.

٢ ــ توفر الموضوعية في الطريق ما بين البدء والنتيجة.

٣ ــ تحديد المسلمات الفكرية التي يؤمن بها كلٌ من طرفي البحث، او الباحث والمخاطبين.

---

١ ــ نهج البلاغه، ج ١ ص ١٠٨ شرح محمد عبده.

٤ ــ تحديد مركز البحث، ونقطة البدء، أو ما يسمى بـ (تحرير محل النزاع).

٥ ــ مراعاة التناسب المنطقي بين المقدمات والأدلة والنتائج المطلوبة.

هذا هو المطلوب في أي بحث وخصوصا في البحوث العقائدية، إلّا أننا نجد هذه القواعد تنتهك كثيرا ــ بكل أسف ــ في قضايا مهمة وفي طليعتها قضية الامام المهدي عليه السلام.

فهي قد تحولت من قضية لا ينكرها مسلم في الواقع، الى قضية يصوغها العقل الشيعي ــ كما يدعي البعض من الكتاب المحدثين ــ وذلك دونما بذل أية رعاية للاساليب العلمية في طرح القضايا.

المهدي من المسلمات الاسلامية

مما لا يتطرق اليه ريب أن أهل البيت(ع) بمجموعهم ركزوا على مسألة الامام المهدي والاعتقاد به قبل أن يولد، وذلك تبعا للرسول الاعظم(ص) وبشاراته به.. ولا يختلف اثنان في هذا المعنى وفي أنهم أكدوا ــ من خلال الروايات الكثيرة ــ على عنصر الانتظار الذي يجب أن يتحلى به الانسان المسلم في غيبة الامام مما يؤكد بعداً رائعاً للشخصية الاسلامية بعد الغيبة امتداداً لصفة الانتظار التي تحلت بها شخصية المؤمنين عبر التاريخ ونعني بها انتظار اليوم الموعود والذي يكون فيه الدين كله لله والذي ينتشر فيه العدل فيملأ الارض بعد ان ملئت ظلما وجورا.

ومن الواضح ان صفة الانتظار هذه تعتبر من أشد الدوافع نحو تهيئة الارضية اللازمة ليستغلها في صالح الهدف المنتظر، حتى ان بعض علماء الاجتماع المحدثين لا يطلقون اسم الانسان الا على (المنتظر).

وقد ركزت الاديان كلها على القائد المنتظر الذي يحقق اليوم الموعود، وأشارت إليه بالإجمال، ولكننا نجد ان الرسول الاعظم محمداً(ص) بالاضافة الى تركيزه على المنتظر قد سماه بالخصوص، وعيَّنه في أهل بيته ومن ولد الامام أمير المؤمنين(ع)، وركز عليه في جملة تركيزه على الاثني عشر خليفة وأميراً من بعده.

وقليلة تلك المواضيع التي وردت فيها أخبار متواترة كالتي وردت في

المهدي مما لا تدع للشك سبيلا في هذا المجال.

ونحن وان لم يكن صدر هذا الكتاب يسع البحث المطول في هذا الخصوص، الا أننا نشير اليها والى رواتها بسرعة معتمدين على بعض المصادر، وما أكثرها هنا.

أ ــ يتجاوز عدد الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي(ع) أعلى حدٍّ موضوعٍ للتواتر عند علماء الحديث وفيهم عثمان، وطلحة، وعبدالرحمن بن عوف، وابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، والخدري، وابو هريرة، وانس بن مالك، وابن اليمان وابن اياس وغيرهم كثير.

ب ــ كما وخرج احاديث الامام المهدي ــ بالاضافة الى كل المعاجم والمسانيد الشيعية ــ ما يقارب الاربعين أو أكثر من كتب السنة التي ألفها الأئمة الحفاظ فيهم. ومنهم أبو داود والترمذي وابن ماجة، والنسائي، وأحمد، وابن حبان والحاكم، وابن أبي شيبة، وأبونعيم، والطبراني، والدارقطني، والبارودي، والبزار، والخطيب، وابن عساكر، وابن مندة، والحربي، وتمام الرازي، وابن جرير، وغيرهم كثيرون.

ج ــ وقد ألف الكثيرون كتباً مفصلة موجودة في الامام المهدي(ع) ومنهم: أبو بكر بن أبي خيثمة، والحافظ أبو نعيم، والسيوطي، وابن كثير، وابن حجر المكي، وعلي المتقي الهندي، ومرعي بن يوسف الحنبلي، والقاضي الشوكاني، ومحمد بن اسماعيل الصنعاني، وغيرهم.

د ــ وقد حكم بتواتر أحاديث المهدي(ع) كثيرون. منهم: الحافظ السجزي، وابن القيم، ومحمد البرزنجي، والشيخ محمد السقاريني، والقاضي الشوكاني، والشيخ القنوجي، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني، وغيرهم، والباقون جميعا اعتقدوا بأنها مستفيضة بل لم ينكرها من الماضين سوى رجلين اثنين[1] ــ على ما نقل الشيخ محسن العبّاد في محاضرته في جامعة المدينة المنورة[2] ــ وهما ابو محمد ابن الوليد البغدادي الذي وصفه ابن تيمية نفسه بأنه ليس مما يعتمد عليه لضعفه.

وقال الشيخ العباد: «ولم أقف على ترجمة لأبي محمد المذكور».

---

١ ــ وهذه ظاهرة تستحق التأمل.

٢ ــ راجع مجلة الهادي. العدد الاول والعدد الثاني السنة الاولى ص٤٣.

وأما الثاني فهو ابن خلدون المغربي، ولم ينكر صريحا وإنما تردد في ذلك وقد ناقشه الكثير من العلماء في ذلك فقد جاء في كتاب الاذاعة تعقيباً على ذلك «لا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود والمنتظر المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابل النصوص المستفيضة المشهورة البالغة الى حد التواتر».

والأعجب من هذا ان ابن خلدون يقول في صدر الفصل الذي عقده للمهدي ما يلي:

«إعلم أن في المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين» و يعقب عليه الشيخ العبّاد قائلا: «الا يسعه في ذلك ما وسع الناس على ممر الاعصار كما ذكر ابن خلدون نفسه، وهل ذلك إلّا شذوذ بعد معرفة أن الكافة على خلافه؟ وهل هؤلاء الكافة اتفقوا على الخطأ؟ والأمر ليس اجتهاديا وانما هو غيبي لا يسوغ لأحد إثباته إلّا بدليل من كتاب الله أو سنة نبيه(ص)، والدليل معهم، وهم أهل الاختصاص».

وقد وردت في كلامه نقاط اهمها الاشارة الى غيبية المسألة ومعالجتها من قبل غير أهل الاختصاص بمقاييس لا تتلاءم معها.

هـ ـ ورغم زعم البعض فقد وردت الأحاديث التي تشير الى المهدي إجمالا في الصحيحين.

منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله(ص): «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»).

ومنها ما رواه مسلم (قال: فينزل عيسى بن مريم(ص) فيقول أميرهم: تعال صلِّ بنا فيقول لا. إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة).

كل هذا:

اذا تجاوزنا الاحاديث التي نبخسها حقها ان وصفناها بالمتواترة ـ لكثرتها ـ عن اهل البيت(ع) وهم أمناء الرسالة والذين أرجع الله إليهم الأمة بعد النبي(ص) طبق أحاديث متواترة أخرى بما لا يدع أي مجال للانسان الواعي ان يشكك في قضية الامام المهدي(ع).

فاذا لم يكن هذا كافياً فكيف نصل الى الاسلام؟

والحقيقة اننا لنتساءل بكل تحد وتعجب في آن واحد: إذا لم تكن كل

هذه الأدلة كافية لإثبات أن قضية الإيمان بالمهدي المنتظر قضية ضرورية فكيف يمكننا أن نؤمن بأية قضية ضرورية أخرى، أو أي مفهوم إسلامي آخر فضلا عن القضايا الفرعية غير البديهية والمتنازع عليها سواء في مجال الفكر أو مجال النظام؟

و ياترى هل يسمح المسلمون بأن يتركوا قضاياهم تحت رحمة الفكر المطعم بشبهات الغرب والمستمد مبادئه من أسس تتغاير جوهريا مع الأسس الاسلامية؟

ونحن إذ نذكر هذا نشير إلى ما يمكن أن نسميه مدرسة (أحمد أمين) الفكرية وأتباعها من أمثال الدكتور علي سامي النشار، والدكتور أحمد محمود صبحي، والنشاشيبي وغيرهم.

ولأجل أن نلقي بعض الضوء على معالم هذه المدرسة التي تتركز أحيانا في بعض أقطابها وتخف في الآخرين أحيانا اخرى فإننا نلاحظ:

أنها مدرسة أعطت نفسها فوق ما ينبغي، فالقائمون عليها أناس مهما بلغوا فإنهم لن يتعدوا أن يكونوا باحثين اجتماعيين، وكلنا نعلم أن البحث الاجتماعي حقل من حقول المعرفة لم تتوضح أصوله بعد، ولم تصل نتائجه إلى المرحلة العلمية. حتى أن علماء الاجتماع أنفسهم ما يزالون حيارىٰ في تعريفه وفصله عن باقي العلوم.

وفي حين أنهم أرادوا دراسة الحالة الاجتماعية السائدة في العصور الاسلامية فقد تعرضوا و بكل سرعة و بلا إمعان إلى كل القضايا الفكرية الرئيسية التي عاشها المجتمع خلال أربعة عشر قرنا، وأصدروا أحكامهم في كل منها دون أن يلاحظوا أن كل جانب من تلك الجوانب يحتاج الى اختصاصيين هم بالمستوى المطلوب لمناقشتها. فليس من السهل أن يحكم الانسان بمثل هذه العجالة على قضايا رسالة عالمية، وأحداث مهمة رافقت ظهورها وسارت معها وهي تنتشر في الوجود.

فالمدرسة إذن تفقد شرط توفر مقومات المستوى في النقاش، وهي بالتالي تعتنق الفكرة التي تتلاءم مسبقا مع الهدف المقصود، ثم تبحث عما يمكن ان يكون دليلا على فكرتها، وما يمكن أن يرد الرأي الآخر في الطرف المقابل، وانما تميزت بهذه الخاصية لانها وبمقتضى طبيعة عملها الاجتماعي لم تتبع الاسلوب المنطقي الصحيح الذي سار عليه المسلمون انطلاقا من مبادئهم العقائدية في إثبات القضايا

ونفيها بالقرآن الكريم والسنة الشريفة مع ضم القرائن الموضوعية اللازمة، وإنما رجعت إلى ذوقها هي، وساعدتها على ذلك بحوث المستشرقين التي تنطلق من نفس المنطلق في مناقشة القضايا، غافلة عن الاختلاف الجوهري في زوايا النظر بيننا وبينهم.. ومن منا اليوم لا يدرك خطر بحوث الاستشراق على العقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامي ؟

ولو اردنا ان نسوق مثالا توضيحيا قبل أن نذكر المثال الذي يتعلق بموضوعنا نحن فإننا نسوق ماركس ونظريته التي يسميها (الاشتراكية العلمية) مثالا على ذلك. فمن الواضح أنه حين استهدف أن يقضي على النظام الرأسمالي ويحل محله نظامه الاشتراكي وجد نفسه ــ لكي يحكم أسس فكرته ــ مضطراً لأن يعود الى القواعد المنطقية البديهية فيقلبها وأن يقول بمبدأ الحركة من المادية من جهة والاسلوب الدياليكتيكي من جهة أخرى ليحاول أن يطبق ذلك على الكون كله فيجعله كله مجموعة تناقضات تتطور على أساس منها ومن ثم ينتقل الى المجتمع باعتباره جزءاً من الكون فيطبقه على تاريخ المجتمعات متسلسلا في ذلك حتى يصل إلى ما أراد منذ البدء وهو إضفاء طابع الحتمية التاريخية على (مذهبه في الاشتراكية) باعتباره مرحلة تاريخية يتطلبها (وضع القوى المنتجة) ومن ثم عمل على أن يلتمس الشواهد من هنا وهناك من التاريخ والكون على صحة هذا التسلسل الذي اعتبره منطقا آخر.

وهكذا مدرستنا هذه التي نشير اليها، والتي تحاول أن تفسر ما تستطيع تفسيره على ضوء الوضع الاجتماعي نظراً لطبيعة عملها[1].

فلنلاحظ كيف تعرضت هذه المدرسة لقضية الإمام المهدي(عج): ــ

فبعد ان يستعرض أحمد أمين حديثا واحداً عن الصادق(ع) يقول: «ومن هذا أو نحوه يظن أن فكرة المهدية وعصمة الأئمة وتقديسهم وإعلاء شأنهم نبتت في ذلك العصر عصر الامام الصادق(ع)».

وهكذا و بكل بساطة انتهى الحكم على هذه القضية بعوامل إجتماعية

---

١ ــ راجع آراء الدكتور أحمد أمين في المرأة والحرية وغيرها في كتابه (الاخلاق) تجده لاينطلق أبداً من منطلق إسلامي صحيح، بل يمشي وفق ذوقه الاجتماعي حتى ليجعل المرأة الامريكية نموذجا تسير المرأة الشرقية لتصل إليه.

كانت تتوفر في عصر الامام الصادق(ع) بلا أية ملاحظة لأيِّ دليل شرعي، ومن ثم يقول:

«فكرة المهدي هذه لها أسباب سياسية واجتماعية ودينية ففي نظري إنها نبعت من الشيعة»[1].

ويأتي بعده الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه ــ نظرية الامامة ــ فيستعرض أقوال المستشرقين في ردِّ هذه العقيدة ناقلا إياها بلا نقد، ثم يصدر حكمه رأساً مقلداً أحمد أمين في ردِّها للظروف السياسية[2] تبعا للمستشرق (فان فاوتن). والمضحك المبكي هنا حقا انه يجعل إيمان السنة بالمهدي أيضا نابعا من الظروف السياسية، ناقلا عن يوسف بن يحيى الدمشقي في (عقد الدرر) نصّاً يوضح صاحبه أن الحاجة في عصره قد اشتدت للامام المنتظر مع أنه (اي الدمشقي) يوضح في نفس النص أن الاحاديث جمة في ظهوره (عج)[3].

وقد تجيء لحظات يشعر معها أتباع هذه المدرسة بأنهم بالغوا كثيرا في إدخال العنصر الاجتماعي فيقول الدكتور صبحي نفسه بعد أن يشير الى المنكرين من أتباع هذه المدرسة: «غير أن موقف هؤلاء الباحثين المتأخرين قائم على عامل الزمن من ناحية حيث مرَّ أربعة عشر قرنا. وعلى التفكير الوضعي الحديث الذي ينكر الحكم الثيوقراطي من ناحية أخرى»[4].

هكذا إذن كونت هذه المدرسة الفكرة المسبقة، ثم راحت تلتمس لها الأدلة. فما هي طبيعة هذه الأدلة؟!

وفي مجال إقامة الدليل تتغافل تماما عن كل ما ورد من أحاديث، أو تتغافل عن الاستناد وعنصر الالزام العقائدي الذي تحمله هذه الأخبار، ولا تقيم وزناً لذلك وإنما تحاول أن تبرز ما اعترض به على العقيدة بالمهدي(عج).

فيقول أحمد أمين: «وهذه نظرية لا تتفق وسنة الله في خلقه، ولا تتفق والعقل الصحيح»[5].

ويقول صاحب نظرية الإمامة: «ولا شك أن حياة المهدي أكثر من ألف

---

١ ــ ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٤١.

٢ و ٣ و ٤ ــ نظرية الامامة ص ٣٩٩ و نظرية الامامة ص ٤٠٥ و نظرية الامامة ص ٤٠٤.

٥ ــ ضحى الاسلام ج ٣ ص ٥٢٤.

عام موضع الإرتياب، وكفيل أن يهدم العقيدة من أساسها».

وهكذا إذن يكفي أن تكون أية عقيدة (حتى ولو كانت من الضرورات الدينية) باطلة لأنها تخالف العادة الملحوظة أو العقل التجريبي الذي يعبر أحمد أمين عنه بـ (الصحيح).

ولسنا في مقام مناقشة هذا القول، ولكن هل يمكن الحكم على قضية قام أساسها على (الغيبية) بمثل هذه المقاييس؟.. إذن أين الاعتقاد بقدرة الله تعالى؟!

وهل إن بقاء إنسان طول هذه المدة من المستحيلات العقلية؟!

إننا لو أردنا أن نتبع هذا المنهج في البحث وجب علينا أن ننكر الكثير من القضايا التي هي ثابتة قطعا بنص الكتاب العزيز.

فهل إن تكلم الطفل في المهد أمر يتفق وما جرت عليه سنة الله في الأمور العادية أو يوافق عليه (العقل التجريبي الصحيح)؟! وكذلك مسألة تحوّل عصا موسى إلى ثعبان، أو نتق الجبل فوق بني إسرائيل كأنه ظُلَّة، أو مسألة بقاء طعام عزير (لم يتسنَّهْ مائةَ عامٍ والتي خرقت العادة الجارية في بقاء الطعام اي طعام كان آلاف المرات)؟!

ان العقل إنما يكون حاكما في قطعياته وضرورياته ونحن بذلك نؤول حتى النصوص. أما ظنياته فلا قيمة لها أمام النصّ إلّا إذا كان ذلك اجتهاداً في مقابل النص.

إن المنهج الصحيح هو أن نلاحظ مسألة النسبة إلى الشريعة؛ فإن تمت لاحظنا الموانع المتناسبة مع تلك المسألة لا أن نحكم جزافاً بمقاييس لا ترتبط بها.

نجد هنا أن الدكتور صبحي يعترف بأنه لا يرفض الاحاديث بل لم يمحصها ولكنه يدخل مسبقاته التي تصورها في تفسير الأمر فينطبق عليه قول برتراند راسل الذي جاء به هو راداً على غير الموضوعين[١].

والموضوع المهم الآخر الذي يوجهه هؤلاء نقداً إلى الاعتقاد بالمهدي هو مسألة ادعاء المهدوية من قبل من لم يكونوا أهلا لأن يملأوا الأرض قسطاً وعدلاً، وهذا النقض من أعجب الامور إذ لو تم وجب علينا أن ننكر النبوة لأنه قد ادعاها

---

١ ــ نظرية الامامة ص ٤٢٠.

أمثال مسيلمة الكذاب!!

ولنا هنا أن ننقل نصا عن الدكتور أحمد صبحي في هذا المجال يوضح عدم موضوعيته إذ يقول: «ولقد قامت حركات كثيرة باسم (المهدية) وبعضها قد خرجت من صفوف الشيعة كالبابية والبهائية ولكن التشيع من أشد المذاهب إنكاراً للحركات المهدية لا لأنها دعاوى كاذبة ولكن لأن اليوتوبية في عقيدة الاثني عشر لا تدع مجالا لامكان تحقق العقيدة في الواقع الملموس»[1].

فالشيعة إذن لم يقفوا في وجه البهائية استناداً لأصولهم المذهبية وعلائم التكذيب التي رافقتها بل لان (يوتوبيتهم) منعتهم من ذلك.

وهذا مثل آخر على التأثر بالنظرة الاجتماعية في تحديد الموقف.

والا فهل راجع موقف الشيعة من هذه وأسلوب رفضهم لها ليتأكد أن حكمه هوينبع من طوبائية تجريدية مغرقة في البعد عن الواقع؟

وبعد هذا فلست أدري كيف منح الدكتور احمد فؤاد الأهواني ــ في مقدمة الجزء الرابع من ظهر الاسلام ــ أحمد أمين سمة البعد عن الدجماطيقية،[2] والجزم بالرأي قبل البحث والتنقيب.

وهل ذلك إلّا كمثل قوله فيه إنه «رفع علم المهادنة بين الشيعة والسنة حتى تتحد كلمة المسلمين».

وقفة احترام وتقدير لنظرة أهل البيت(ع) في المسألة

وأخيرا فان الذي ينبغي أن يقال في ختام هذا العرض الخاطف لبعض جوانب هذه المسألة:

إننا لو أمعنا النظر في الأمر ولاحظناه بكل موضوعية وتدبر، وارتفعنا الى مستوى المقياس الصحيح للحكم على القضايا في إطارها الصحيح وجب أن نذعن وننحني لرأي اهل البيت(ع) في كون الامام المهدي(عج) هو الثاني عشر منهم وذلك بعد ملاحظة ما يلي:

١ ــ أحاديث الثقلين المتواترة في حد ذاتها والتي استفدنا منها كما مر

---

١ ــ نفس المصدر ص ٤٢٦.

٢ــ ظهر الاسلام ج ٤ ص ١١ــ ١٥.

المقياس الصحيح في تشخيص الاشخاص الذين يقصدهم الرسول(ص) بعبارة (وعترتي) وهو عدم الافتراق عن القرآن حيث جاء فيها (ولن يفترقا).

٢ ــ أحاديث الاثني عشر أميراً أو خليفة كلهم من قريش وهي بدورها متواترة ثابتة أيضا.

٣ ــ أحاديث المهدي على اختلافها والتي يذكر كل منها جانبا معينا منه(عج).

فإننا بملاحظة هذه الأمور الثلاثة نطمئن تماما إلى أن المقصود من الطائفة الثانية هي أهل البيت(ع) بشهادة الطائفة الاولى نصاً بعبارة (وعترتي)، وبطريق غير مباشر أي بواسطة المقياس الذي أعطته لتشخيصهم. فإذا ثبت هذا وجمعنا بالتالي بين الروايات المتفرقة والجوانب المعينة لشخصية الإمام المهدي وقارنّاه بأقوال أهل البيت أنفسهم بأنه الثاني عشر منهم تأكدنا وأيقنّا بما لا ريب فيه بأن نظرتهم هي النظرة الأصيلة التي ركز عليها النبي الأكرم(ص).

وبالتالي فنحن نؤكد بأنا هنا لم نتعرض ــ لقضية الإمام ــ بشكل عام وحتى بشكل موجز، وإنما تعرضنا لها بالمقدار الذي يوضح لنا عملية الانحراف عن المنهج المنطقي الصحيح في البحث التاريخي والعقائدي من قبل البعض تجاه أهل البيت عليهم السلام.

وإذا أردنا أن نسوق مثالا آخر على عدم الموضوعية أمكننا الإشارة الى تهمةٍ أو تحريفٍ كبير لكلامٍ حقٍ صرَّح به قائد الثورة الاسلامية المباركة الإمام الخميني حفظه الله حول هذه القضية بالذات. ومجمل تصريحاته التركيز على أن الامام المهدي عليه السلام سوف يستثمر جهود الأنبياء جميعا ويحقق للمسيرة الرسالية هدفها المنشود وهو إقامة المجتمع الانساني العام القائم بالقسط والعدل دون أن تشوب مسيرته الشاملة شائبة من ظلم أو انحراف، وهذا أمر لم يتحقق لأيٍّ نبي حتى لنبينا العظيم محمد(ص) رغم أنه(ص) وضع أسس المجتمع الاسلامي الأول وجاهد أعظم الجهاد في ذلك.

هذه الحقيقة سعى أعداء الأمة الاسلامية، والعملاء، والجهلة إلى تحريفها وعرضها أمام العالم الاسلامي على أساس أنها تعني تفضيل الامام المهدي على جميع الأنبياء حتى النبي الكريم(ص)، وأنها تعني ــ والعياذ بالله ــ قصوراً في قيادة الرسول، أو أن المهدي سيأتي بدين جديد!! وأنها.. وأنها... وربما انجر الأمر بعد

ذلك الى التكفير، وبالتالي تحقيق ما يريد الاستكبار العالمي من فصل بين الامام القائد والثورة الاسلامية المباركة في إيران، وبين جماهيرها الاسلامية، وبالتالي يمكنهم ــ كما يتصورون إيقاف المسيرة الثورية الاسلامية والصحوة المقدسة الشاملة!!

هذا في حين أن قواعد البحث والنقل المنطقي كانت تقتضي أن تتوفر الموضوعية في عملية البحث عن مغزى كلام الامام القائد.

ولن يحتاج الباحث الى مزيد تأمل بعد ملاحظة:

أ ــ إيمان المسلمين جميعا ــ شيعة وسنة ــ بمسألة أفضلية الرسول على جميع البشر بما فيهم أهل البيت عليهم السلام رغم أنهم(ع) في طليعة الذين ربّاهم رسول الله قدوة وأسوة.

ب ــ إن الامام المهدي إنما يقوم بتطبيق الاسلام على جميع الأرض.

جـ ــ وإنه لم يتحقق لحد الآن ــ بالضرورة التاريخية ــ أيُّ تطبيق شامل للتعاليم الإلهَية على كل ربوع الارض بحيث يكون الدين كلُّه لله. في حين تنبئنا الروايات المتواترة أن المهدي سيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً.

نعم بعد ملاحظة هذه الحقائق لا يحتاج الباحث إلى مزيد تأمل ليؤمن بالحقيقة التي طرحها الإمام القائد في أحاديثه.

إلّا أن الأحقاد والجهل قد تموّه الامر فينقلب الى ضده والعياذ بالله.

وإننا هنا لندعو كل المسلمين الواعين لوعي هذه القضية بكل تأمل وموضوعية وعدم التفريط في عقيدة إسلامية أصيلة لها أثرها على مجمل المسيرة الحضارية الإنسانية والله الهادي إلى سواء السبيل.

بحث حول
المهدي
عجل الله فرجه

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنْ الرَّحيم

«وَنُريدُ أَن نَمُنَّ عَلى الَّذينَ اسْتُضْعِفُوا في الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثين» القصص/٥.

ليس المهدي تجسيداً لعقيدة اسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح اتجهت اليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري، ادرك الناس من خلاله ــ على الرغم من تنوع عقائدهم ووسائلهم إلى الغيب ــ أن للانسانية يوماً موعوداً على الأرض. تحقق فيه رسالات السماء بمغزاها الكبير، وهدفها النهائي، وتجد فيه المسيرة المكدودة للانسان على مرّ التاريخ استقرارها وطمأنينتها، بعد عناءٍ طويل. بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتدّ الى غيرهم أيضاً وانعكس حتى على أشدّ الايديولوجيات والاتجاهات العقائدية رفضاً للغيب والغيبيات، كالمادية الجدلية التي فسّرت التاريخ على أساس التناقضات، وآمنت بيوم موعود، تصفى فيه كل تلك التناقضات و يسود فيه الوئام والسلام. وهكذا نجد ان التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارستها الانسانية على مرّ الزمن، من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الانسان.

وحينما يدعم الدين هذا الشعور النفسي العام، و يؤكِّد ان الأرض في نهاية المطاف ستملأ قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، يعطي لذلك الشعور قيمته الموضوعية ويحوله الى ايمان حاسم بمستقبل المسيرة الانسانية، وهذا الايمان ليس مجرد مصدر للسلوة والعزاء فحسب، بل مضدر عطاء وقوة، فهو مصدر عطاء، لأن الايمان بالمهدي ايمان برفض الظلم والجور حتى وهو يسود الدنيا كلها، وهو مصدر قوة ودفع لا ينضب، لأنه بصيص نور يقاوم اليأس في نفس الانسان، ويحافظ على الأمل المشتعل في صدره مهما ادلهمَّت الخطوب وتعملق الظلم، لأنَّ اليوم الموعود، يثبت ان بامكان العدل ان يواجه عالماً مليئاً بالظلم والجور فيزعزع ما فيه من اركان الظلم، و يقيم بناءه من جديد، وان الظلم مهما تجبَّر وامتدَّ في ارجاع العالم وسيطر على مقدراته، فهو حالة غير طبيعية، ولا بد ان ينهزم. وتلك الهزيمة الكبرى المحتومة للظلم وهو في قمة مجده، تضع الأمل كبيراً أمام كل فرد مظلوم، وكل أمة مظلومة؛ في القدرة على تغيير الميزان واعادة البناء.

و إذا كانت فكرة المهدي أقدم من الاسلام وأوسع منه، فان معالمها التفصيلية التي حددها الإسلام جاءت أكثر اشباعاً لكل الطموحات التي انشدت إلى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الديني، واغنى عطاءً واقوى إثارةً لأحاسيس المظلومين والمعذبين على مرِّ التاريخ وذلك لأن الإسلام حوَّل الفكرة من غيب إلى واقع، ومن مستقبل إلى حاضر، ومن التطلع الى منقذ تتمخض عنه الدنيا في المستقبل البعيد، المجهول، إلى الايمان بوجود المنقذ فعلاً، و تطلعه مع المتطلعين إلى اليوم الموعود، واكتمال كل الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم، فلم يعد المهدي «عليه السلام» فكرةً ننتظر ولادتها: ونبوءةً نتطلع إلى مصداقها، بل واقعاً قائماً ننتظر فاعليته وانساناً معيناً يعيش بيننا بلحمه ودمه نراه و يرانا، و يعيش مع آمالنا وآلامنا و يشاركنا احزاننا وافراحنا، و يشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المعذبين و بؤس البائسين وظلم الظالمين، و يكتوي بكل ذلك من قريب أو بعيد، و ينتظر بلهفة اللحظة التي يتاح له فيها ان يمدَّ يده إلى كل مظلوم وكل محروم، وكل بائس و يقطع دابر الظالمين.

وقد قدِّر لهذا القائد المنتظر أن لا يعلن عن نفسه، ولا يكشف للآخرين حياته على الرغم من انه يعيش معهم انتظاراً للحظة الموعودة.

ومن الواضح ان الفكرة بهذه المعالم الإسلامية، تقرِّب الهوة الغيبية بين

المظلومين كل المظلومين، والمنقذ المنتظر وتجعل الجسر بينهم و بينه في شعورهم النفسي قصيراً مهما طال الانتظار.

ونحن حينما يراد منا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفها تعبيراً، عن انسان حي محدد يعيش فعلاً كما نعيش و يترقب كما نترقب، يراد الايحاء الينا بأن فكرة الرفض المطلق لكل ظلم وجور التي يمثلها المهدي، تجسَّدت فعلاً في القائد الرافض المنتظر، الذي سيظهر وليس في عنقه بيعة لظالم كما في الحديث، وان الايمان به ايمان بهذا الرفض الحي القائم فعلاً ومواكبة له.

وقد ورد في الاحاديث الحث المتواصل على انتظار الفرج، ومطالبة المؤمنين بالمهدي ان يكونوا بانتظاره. وفي ذلك تحقيق لتلك الرابطة الروحية، والصلة الوجدانية بينهم و بين القائد الرافض، وكل ما يرمز اليه من قيم، وهي رابطة وصلة ليس بالامكان ايجادها ما لم يكن المهدي قد تجسَّد فعلاً في انسان حي معاصر.

وهكذا نلاحظ ان هذا التجسيد اعطى الفكرة زخماً جديداً، وجعل منها مصدر عطاءٍ وقوة بدرجة أكبر، اضافة إلى ما يجده أي انسان رافض من سلوة وعزاء وتخفيف لما يقاسيه من آلام الظلم والحرمان، حين يحس ان إمامه وقائده يشاركه هذه الآلام و يتحسَّس بها فعلاً بحكم كونه انساناً معاصراً، يعيش معه وليس مجرد فكرة مستقبلية.

ولكن التجسيد المذكور أدى في نفس الوقت إلى مواقف سلبية تجاه فكرة المهدي نفسها، لدى عدد من الناس الذين صعب عليهم ان يتصوروا ذلك و يفترضوه.

فهم يتساءلون! إذا كان المهدي يعبر عن انسان حي، عاصر كل هذه الأجيال المتعاقبة منذ أكثر من عشرة قرون، و سيظل يعاصر امتداداتها إلى ان يظهر على الساحة، فكيف تأتى لهذا الانسان أن يعيش هذا العمر الطويل، و ينجو من قوانين الطبيعة التي تفرض على كل انسان أن يمر بمرحلة الشيخوخة والهرم، في وقت سابق على ذلك جداً وتؤدي به تلك المرحلة طبيعياً الى الموت، أو ليس ذلك مستحيلاً من الناحية الواقعية؟

و يتساءلون أيضاً! لماذا كل هذا الحرص من الله ــ سبحانه وتعالى ــ على هذا الانسان بالذات، فتعطل من اجله القوانين الطبيعية، و يفعل المستحيل

لإطالة عمره والاحتفاظ به لليوم الموعود، فهل عقمت البشرية عن انتاج القادة الأكفاء؟ ولماذا لايترك اليوم الموعود لقائد يولد مع فجر ذلك اليوم، و ينمو كما ينمو الناس، ويمارس دوره بالتدريج حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ان ملئت ظلماً وجوراً؟

و يتساءلون أيضاً! إذا كان المهدي اسماً لشخص محدَّد هو ابن الامام الحادي عشر من أئـمة أهل البيت(ع) الذي ولد سنة (٢٥٦) هـ وتوفي أبوه سنة (٢٦٠)هـ، فهذا يعني انه كان طفلاً صغيراً عند موت ابيه، لايتجاوز خمس سنوات، وهي سن لا تكفي للمرور بمرحلة اعداد فكري وديني كامل على يدأبيه، فكيف و بأي طريقة يكتمل اعداد هذا الشخص لممارسة دوره الكبير، دينياً وفكرياً وعلمياً؟

و يتساءلون أيضاً؟ إذا كان القائد جاهزاً فلماذا كل هذا الانتظار الطويل مئات السنين؟ أو ليس في ما شهده العالم من المحن والكوارث الاجتماعية ما يبرِّر بروزه على الساحة واقامة العدل على الأرض؟

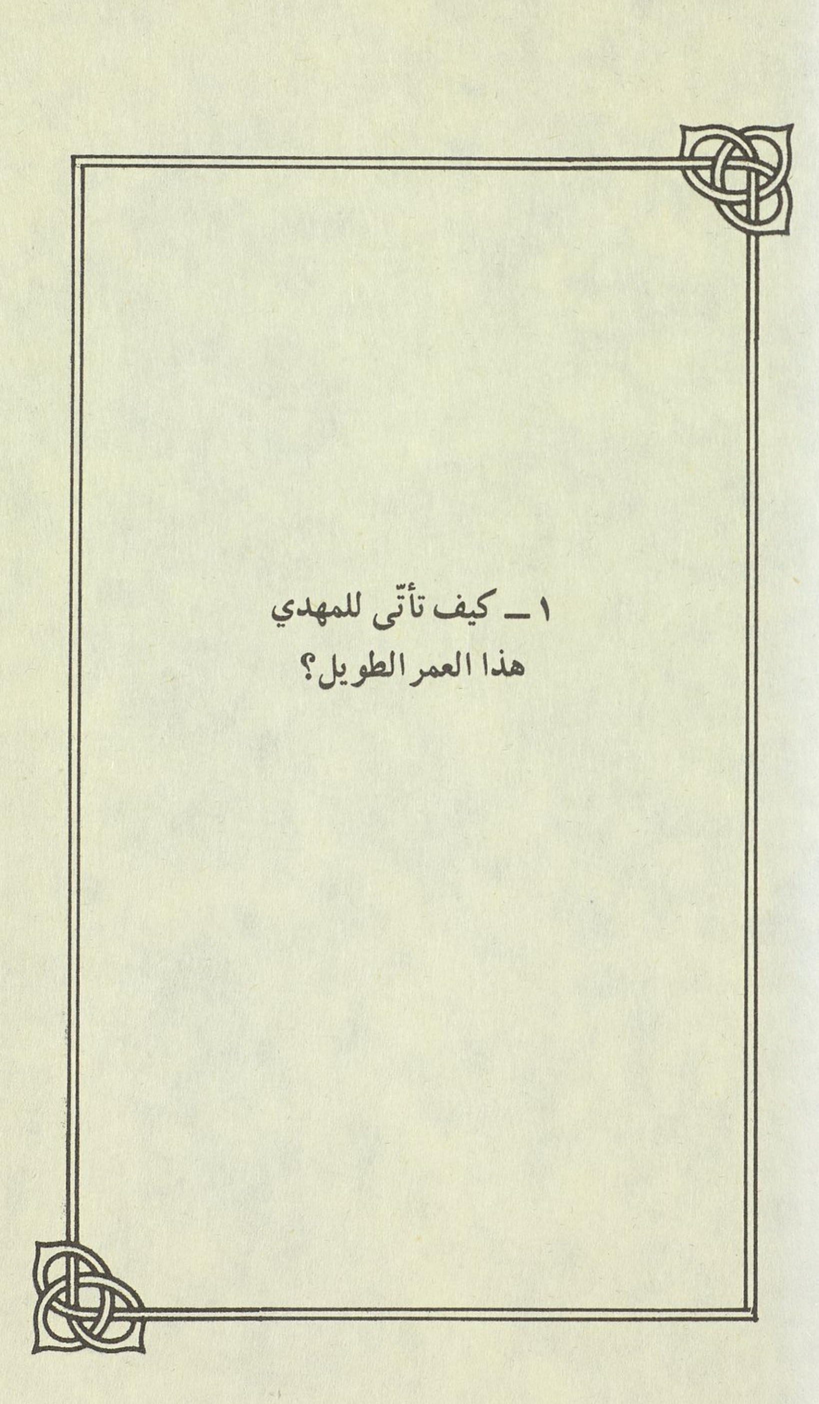
و يتساءلون أيضاً! كيف نستطيع أن نؤمن بوجود المهدي، حتى لو افترضنا ان هذا ممكن؟ وهل يسوغ لانسان ان يعتقد بصحة فرضية من هذا القبيل دون ان يقوم عليها دليل علمي أو شرعي قاطع؟ وهل تكفي بضع روايات تنقل عن النبي(ص) لا نعلم مدى صحتها للتسليم بالفرضية المذكورة؟

و يتساءلون أيضاً بالنسبة إلى ما اعدَّ له هذا الفرد من دور في اليوم الموعود!.. كيف يمكن أن يكون للفرد هذا الدور العظيم الحاسم في حياة العالم، مع ان الفرد مهما كان عظيماً لايمكنه أن يصنع بنفسه التاريخ، و يدخل به مرحلة جديدة، وانما تختمر بذور الحركة التاريخية وجذوتها في الظروف الموضوعية وتناقضاتها، وعظمة الفرد هي التي ترشحه لكي يشكل الواجهة لتلك الظروف الموضوعية، والتعبير العملي عما تتطلبه من حلول؟

و يتساءلون أيضاً! ما هي الطريقة التي يمكن أن نتصور من خلالها ما سيتمُّ على يد ذلك الفرد من تحول هائل وانتصار حاسم للعدل و رسالة العدل على كل كيانات الظلم والجور والطغيان، على الرغم مما تملك من سلطان ونفوذ، وما يتواجد لديها من وسائل الدمار والتدمير وما وصلت اليه من المستوى الهائل في الامكانات العلمية والقدرة السياسية والاجتماعية والعسكرية!

هـذه اسئلة قد تتردد في هذا المجال وتقال بشكل وآخر، وليست البواعث الحقيقية لهذه الاسئلة فكرية فحسب، بل هناك مصدر نفسي لها أيضاً، وهو الشعور بهيبة الواقع المسيطر عالمياً وضآلة أي فرصة لتغييره من الجذور، و بقدر ما يبعثه الواقع الذي يسود العالم على مرّ الزمن من هذا الشعور تتعمق الشكوك وتترادف التساؤلات. وهكذا تؤدي الهزيمة والضآلة والشعور بالضعف لدى الانسان، إلى ان يحسَّ نفسياً بإرهاق شديد لمجرد تصور عملية التغيير الكبرى للعالم التي تفرغه من كل تناقضاته ومظالمه التاريخية، وتعطيه محتوىً جديداً قائماً على أساس الحق والعدل، وهذا الارهاق يدعوه إلى التشكك في هذه الصورة ومحاولة رفضها لسبب وآخر.

ونحن الآن نأخذ التساؤلات السابقة تباعاً، لنقف عند كل واحد منها وقفة قصيرة بالقدر الذي تتسع له هذه الوريقات.



١ ــ كيف تأتّى للمهدي
هذا العمر الطويل؟

وبكلمة أخرى هل بالامكان ان يعيش الانسان قروناً كثيرة كما هو المفترض في هذا القائد المنتظر لتغيير العالم، الذي يبلغ عمره الشريف فعلاً أكثر من ألف ومئة وأربعين سنة، أي حوالي(١٤) مرة من عمر الانسان الاعتيادي الذي يمرُّ بكل المراحل الاعتيادية من الطفولة إلى الشيخوخة؟

وكلمة الامكان هنا تعني أحد ثلاثة معانٍ، الامكان العملي، والامكان العلمي، والامكان المنطقي أو الفلسفي، واقصد بالامكان العملي، أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح لي أو لك، أو لأنسان آخر فعلاً ان يحققه، فالسفر عبر المحيط، والوصول إلى قاع البحر، والصعود الى القمر، أشياء أصبح لها امكان عملي فعلاً. فهناك من يمارس هذه الأشياء فعلاً بشكل وآخر.

وأقصد بالامكان العلمي، ان هناك اشياء قد لا يكون بالامكان عملياً لي أو لك، أن نمارسها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة الى ما يبرر رفض امكان هذه الأشياء ووقوعها وفقاً لظروف ووسائل خاصة، فصعود الانسان الى كوكب الزهرة لايوجد في العلم ما يرفض وقوعه، بل ان اتجاهاته القائمة فعلاً تشير إلى امكان ذلك وان لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً لي أو لك، لأن الفارق بين الصعود إلى الزهرة والصعود الى القمر ليس إلّا فارق درجة، ولا يمثل الصعود الى الزهرة إلا مرحلة تذليل الصعاب الاضافية

التي تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود إلى الزهرة ممكن علمياً وان لم يكن ممكناً عملياً فعلاً. وعلى العكس من ذلك الصعود إلى قرص الشمس في كبد السماء فإنه غير ممكن علمياً، بمعنى ان العلم لا أمل له في وقوع ذلك إذ لايتصور علمياً وتجريبياً امكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس، التي تمثل أتوناً هائلاً مستعراً بأعلى درجة تخطر على بال انسان.

وأقصد بالامكان المنطقي أو الفلسفي ان لايوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية — أي سابقة على التجربة — ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته.

فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر الى نصفين ليس له امكان منطقي، لأن العقل يدرك — قبل أن يمارس أي تجربة — ان الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن ان تنقسم بالتساوي لأن انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً. ولكن دخول الانسان في النار دون ان يحترق وصعوده للشمس دون ان تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية إذ لا تناقض في افتراض ان الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارة الى الجسم الأقل حرارة، وانما هو مخالف للتجربة التي اثبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة الى الجسم الاقل حرارة الى ان يتساوى الجسمان في الحرارة.

وهكذا نعرف ان الامكان المنطقي أوسع دائرة من الامكان العلمي، وهذا أوسع دائرة من الامكان العملي.

ولا شكّ في ان امتداد عمر الانسان آلاف السنين ممكن منطقياً، لأن ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض، لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع ولا نقاش في ذلك.

كما لا شكّ أيضاً ولا نقاش في ان هذا العمر الطويل ليس ممكناً امكاناً عملياً على نحو الامكانات العملية للنزول إلى قاع البحر أو الصعود الى القمر، ذلك لأن العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً، والمتاحة من خلال التجربة البشرية المعاصرة، لا تستطيع أن تمدد عمر الانسان مئات السنين، ولهذا تجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير امكانات العلم، لايتاح له من العمر إلا بقدر ما هو مألوف.

وأما الامكان العلمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية. وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفسلجي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الانسان، فهل تعبر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على انسجة جسم الانسان وخلاياه بعد ان تبلغ قمة نموها أن تتصلب بالتدريج وتصبح أقل كفاءة للاستمرار في العمل، إلى ان تتعطل في لحظة معينة، حتى لو عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي، أو ان هذا التصلب وهذا التناقص في كفاءة الانسجة والخلايا الجسمية، للقيام بادوارها الفسيولوجية نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب إلى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف، أو ما يقوم به من عمل مكثف أو أي عامل آخر؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه. وهو جاد في الاجابة عليه، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي. فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه إلى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة فهذا يعني أن بالامكان نظرياً، إذا عزلت الانسجة التي يتكون منها جسم الانسان عن تلك المؤثرات المعينة أن تمتد بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً.

وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى التي تميل إلى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والانسجة الحية نفسها بمعنى انها تحمل في احشائها بذرة فنائها المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاء بالموت.

أقول: إذا اخذنا بوجهة النظر هذه فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي، بل هو على افتراض وجوده قانون مرن، لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية ولأن العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية ان الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية، لازمنية قد تأتي مبكرة وقد تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة، حتى ان الرجل قد يكون طاعنا في السن ولكنه يملك اعضاء لينة ولا تبدو عليه اعراض الشيخوخة كما نص على ذلك الاطباء. بل ان العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فاطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة إلى أعمارها الطبيعية، وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجل فاعلية قانون الشيخوخة.

وبهذا يثبت علمياً أن تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينة أمر

ممكن علمياً، ولئن لم يتح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة إلى كائنٍ معقد معين كالانسان فليس ذلك إلا لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة إلى الانسان وصعوبتها بالنسبة إلى احياء أخرى. وهذا يعني ان العلم من الناحية النظرية و بقدر ما تشير اليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض امكانية اطالة عمر الانسان، سواء فسرنا الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية أو نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء.

و يتلخص من ذلك: أن طول عمر الانسان و بقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا ان اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الامكان عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي «عليه الصلاة والسلام» وما احيط به من استفهام أو استغراب. ونلاحظ: انه بعد ان ثبت امكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت ان العلم سائر في طريق تحويل الامكان النظري الى امكان عملي تدريجاً، لا يبقى للاستغراب محتوىً الا استبعاد ان يسبق المهدي العلم نفسه، فيتحول الامكان النظري الى امكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره إلى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان.

و إذا كانت المسألة هي انه كيف سبق الاسلام ــ الذي صمم عمر هذا القائد المنتظر ــ حركة العلم في مجال هذا التحويل؟

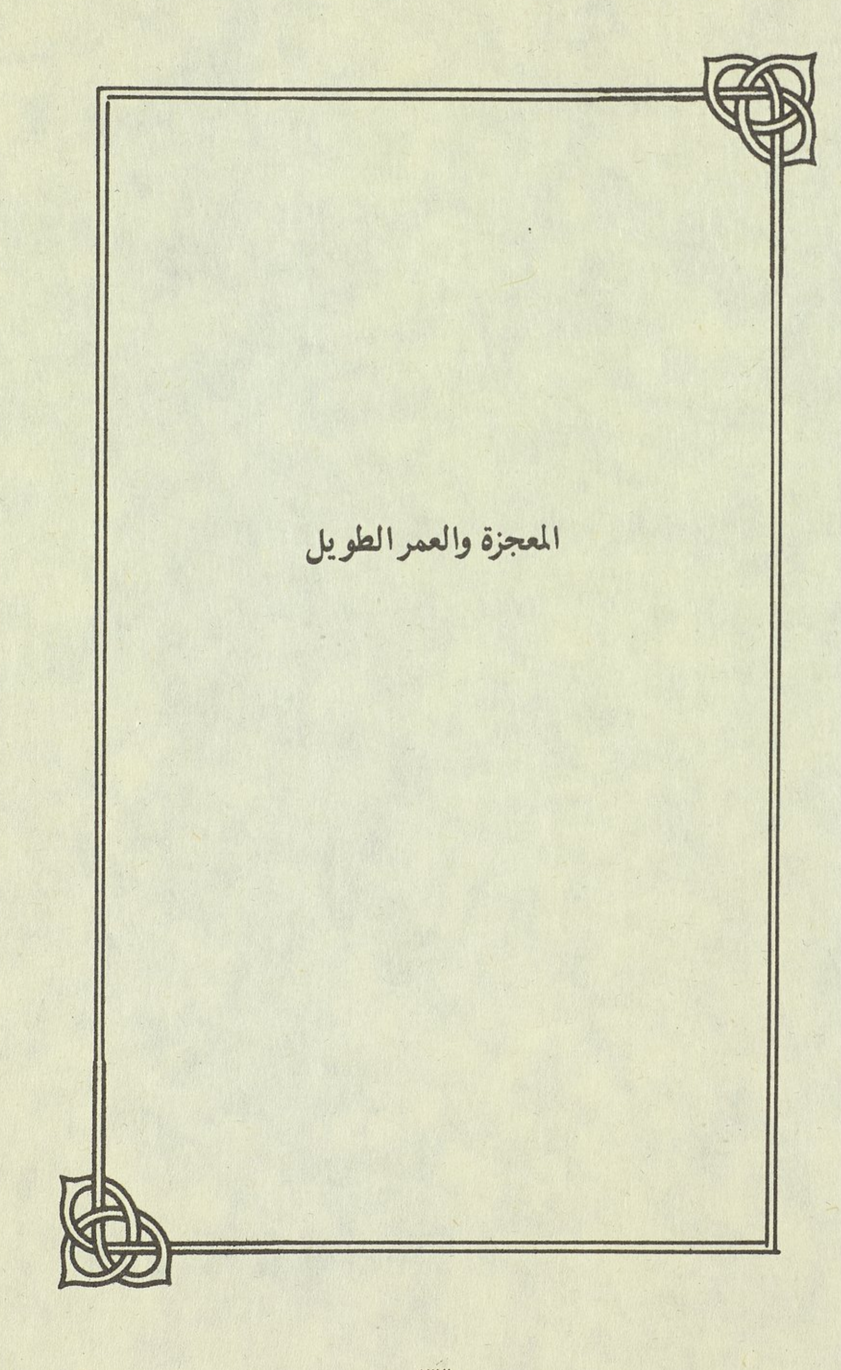
فالجواب: انه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الاسلام حركة العلم. أو ليست الشريعة الاسلامية ككل، قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الانساني قروناً عديدة؟ أو لَمْ تنادِ بشعارات طرحت خططاً للتطبيق لم ينضج الانسان للتوصل اليها في حركته المستقلة إلا بعد مئات السنين؟ أوَ لَمْ تأت بتشريعات في غاية الحكمة لم يستطع الانسان أن يدرك اسرارها ووجه الحكمة فيها إلا قبل برهة وجيزة من الزمن؟ أوَ لَمْ تكشف رسالة السماء اسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال انسان، ثم جاء العلم ليثبتها و يدعمها؟! فاذا كنا نؤمن بهذا كله فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة ــ سبحانه وتعالى ــ ان يسبق العلم في تصميم عمر المهدي؟ وانا هنا لم اتكلم الا عن مظاهر السبق التي نستطيع ان نحسها نحن بصورة مباشرة، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مظاهر السبق

التي تحدثنا بها رسالة السماء نفسها. ومثال ذلك انها تخبرنا بأن النبي(ص) قد أُسري به ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وهذا الاسراء، إذا أردنا أن نفهمه في اطار القوانين الطبيعية فهو يعبر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح للعلم أن يحققه إلا بعد مئات السنين، فنفس الخبرة الربانية التي اتاحت للرسول(ص) التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك، اتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك.

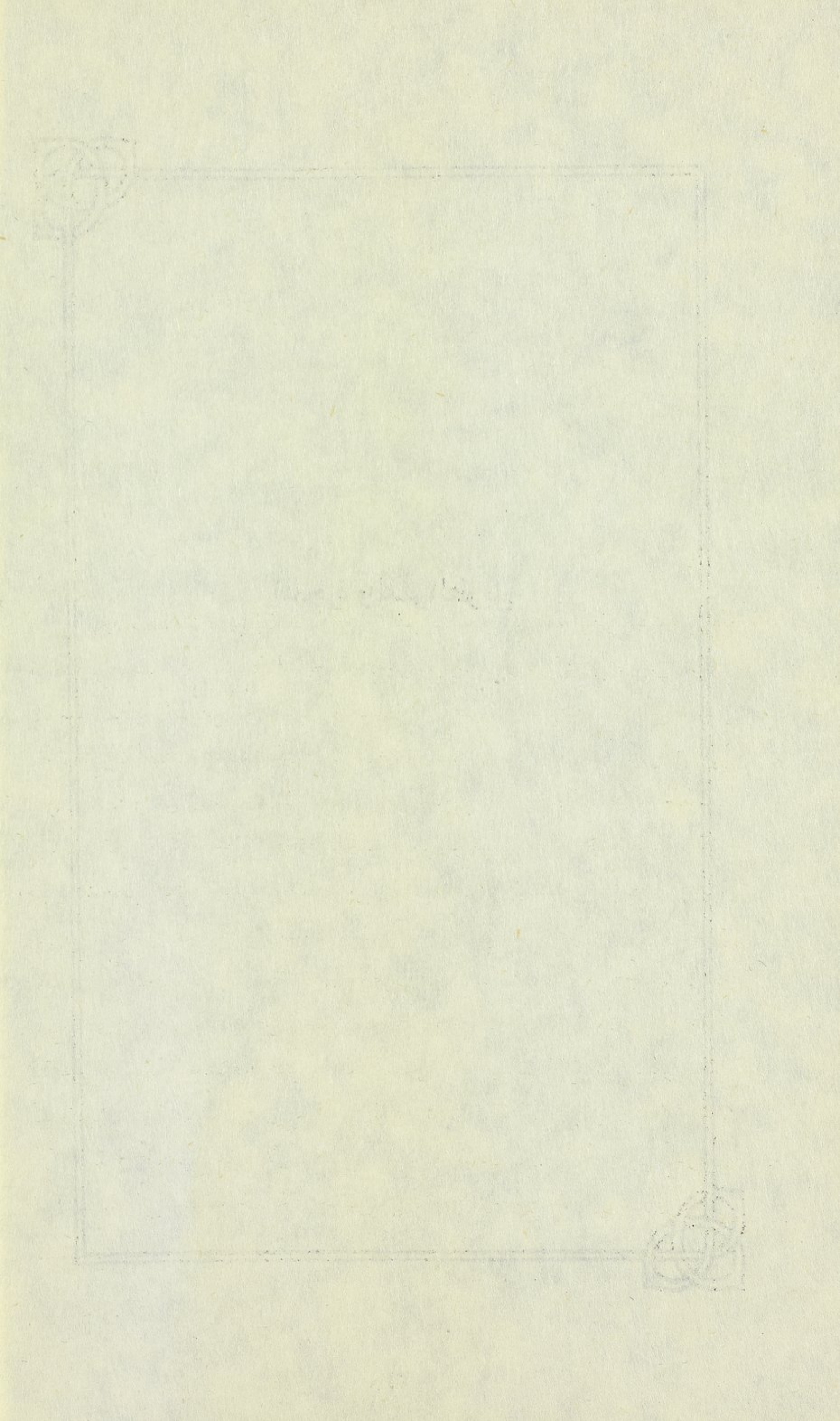
نعم، هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس وفي ما انجز فعلاً من تجارب العلماء. ولكن أو لَيْسَ الدور التغييري الحاسم الذي أعد له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس. وما مرت بهم من تطورات التاريخ؟ أَوَ لَيْسَ قد أُنيط به تغيير العالم، واعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل؟ فلماذا نستغرب إذا اتسم التحضير لهذا الدور الكبير ببعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فان غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً، لايفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود انجازه. فاذا كنا نستسيغ ذلك الدور الفريد تاريخياً على الرغم من انه لايوجه دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لانجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة؟

ولا أدري هل هي صدفة أن يقوم شخصان فقط، بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد و بنائها من جديد، فيكون لكل منهما عمر مديد يزيد على اعمارنا الاعتيادية اضعافاً مضاعفة؟ احدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو نوح الذي نص القرآن الكريم على انه مكث في قومه ألف عام إلا خمسين سنة، وقدر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد. والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهدي الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام وسيقدر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد.

فلماذا نقبل نوحاً الذي ناهز ألف عام على أقل تقدير ولا نقبل المهدي؟



المعجزة والعمر الطويل



وقد عرفنا حتى الآن ان العمر الطويل ممكن علمياً، ولكن لنفترض انه غير ممكن علمياً، وان قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم، لا يمكن للبشرية اليوم ولا على خطها الطويل أن تتغلب عليه، وتغير من ظروفه وشروطه فماذا يعني ذلك؟ انه يعني ان اطالة عمر الانسان ـ كنوح أو كالمهدي ـ قروناً متعددة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي اثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة للحفاظ على حياة الشخص الذي انيط به الحفاظ على رسالة السماء، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدة من نص القرآن والسنة، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشد صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويا، وقد عطل هذا القانون لحماية حياة ابراهيم «عليه السلام» حين كان الاسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون فقيل للنار حين ألقي فيها ابراهيم «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي برداً وسلاماً عَلَى إبراهيمَ»[1] فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذى، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية اشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض ففلق

---

١ ـ الأنبياء: ٦٩.

البحر لموسى. وشبّه للرومان انهم قبضوا على عيسى ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبي محمد(ص) من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلت ساعات تتربص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم. كل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام وهو انه كلما توقف الحفاظ على حياة حجة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمته التي أُعِدَّ لها، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لانجاز ذلك، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أُعِدَّ لها ربانياً فانه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي: كيف يمكن أن يتعطل القانون، وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلّا مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدد هذه العلاقة الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية؟

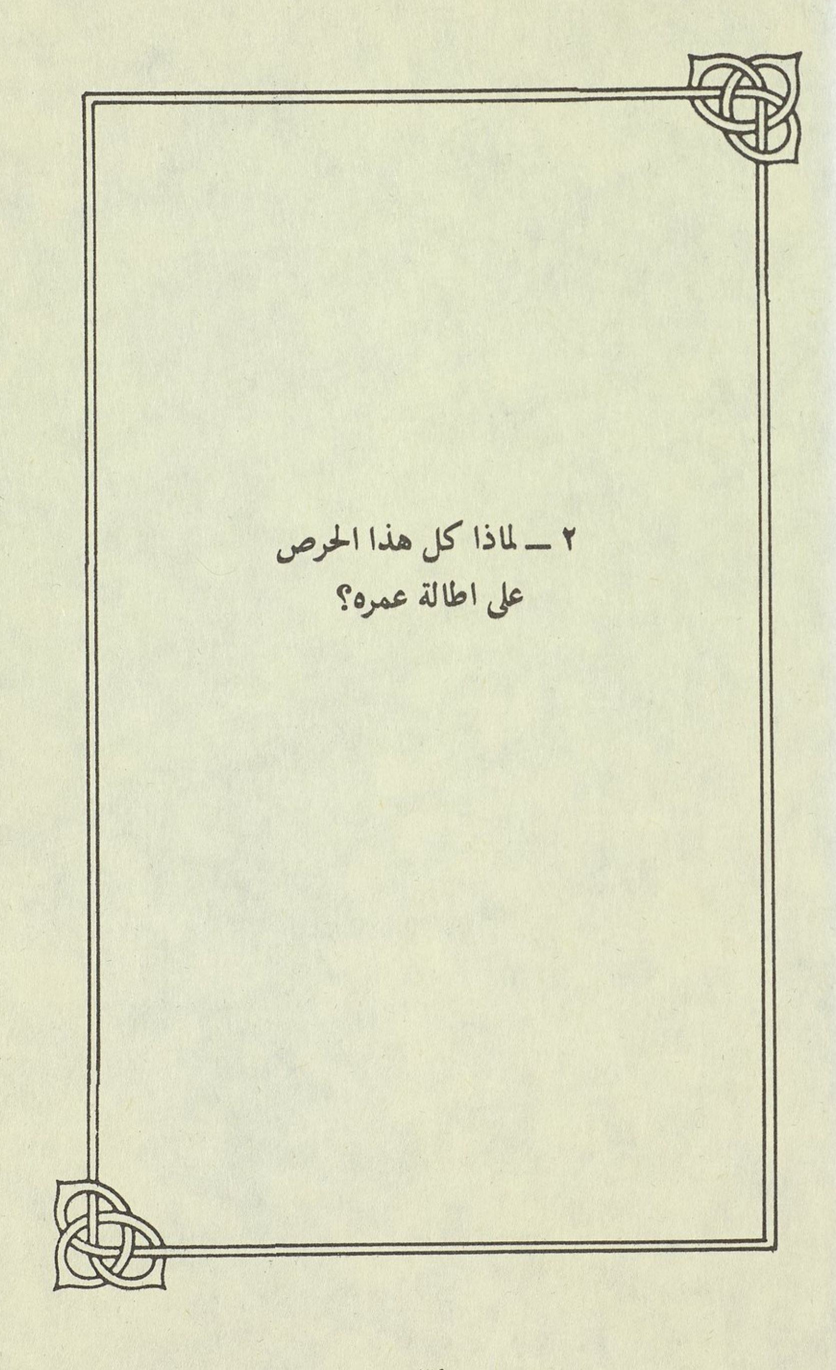
والجواب: ان العلم نفسه فد أجاب على هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي وتوضيح ذلك: ان القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فحين يطرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة اخرى يستدل بهذا الاطراد على قانون طبيعي، وهو انه كلما وجدت الظاهرة الأولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها، غير ان العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها، وصميم تلك وذاتها لأن الضرورة حالة غيبية، لايمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي اثباتها، ولهذا فان منطق العلم الحديث، يؤكد ان القانون الطبيعي ــ كما يعرّفه العلم ــ لايتحدث عن علاقة ضرورية بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين، فإذا جاءت المعجزة وفصلت احدى الظاهرتين عن الاخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.

والحقيقة ان المعجزة بمفهومها الديني، قد اصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر مما كانت عليه في ظل وجهة النظر الكلاسيكية الى علاقات السببية فقد كانت وجهة النظر القديمة، تفترض ان كل ظاهرتين اطرد

اقتران احدهما بالأخرى، فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني ان من المستحيل أن تنفصل احدى الظاهرتين عن الأخرى، ولكن هذه العلاقة تحولت في منطق العلم الحديث الى قانون الاقتران أو التتابع المطرد بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية.

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدي إلى استحالة.

وأما على ضوء الأسس المنطقية للاستقراء فنحن نتفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة في ان الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين ولكننا نرى انه يدل على وجود تفسير مشترك لاطراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم الكون إلى ربط ظواهر معينة بظواهر اخرى باستمرار وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة.



٢ ــ لماذا كل هذا الحرص
على اطالة عمره؟

ونتناول الآن السؤال الثاني وهو يقول: لماذا كل هذا الحرص من الله سبحانه وتعالى على هذا الانسان بالذات، فتعطل من أجله القوانين الطبيعية لاطالة عمره؟ ولماذا لا تترك قيادة اليوم الموعود لشخص يتمخض عنه المستقبل، وتنضجه ارهاصات اليوم الموعود فيبرز على الساحة ويمارس دوره المنتظر.

وبكلمة اخرى: ما هي فائدة هذه الغيبة الطويلة وما المبرر لها؟

وكثير من الناس يسألون هذا السؤال وهم لا يريدون أن يسمعوا جواباً غيبياً، فنحن نؤمن بأن الأئمة الاثني عشر مجموعة فريدة لا يمكن التعويض عن أي واحد منهم، غير ان هؤلاء المتسائلين يطالبون بتفسير اجتماعي للموقف، على ضوء الحقائق المحسوسة لعملية التغيير الكبرى نفسها والمتطلبات المفهومة لليوم الموعود.

وعلى هذا الأساس نقطع النظر مؤقتاً عن الخصائص التي نؤمن بتوفرها، في هؤلاء الأئمة المعصومين ونطرح السؤال التالي:

اننا بالنسبة إلى عملية التغيير المرتقبة في اليوم الموعود، بقدر ما تكون مفهومة على ضوء سنن الحياة وتجاربها، هل يمكن أن نعتبر هذا العمر الطويل لقائدها المدخر، عاملاً من عوامل انجاحها وتمكنه من ممارستها وقيادتها بدرجة أكبر؟

ونجيب على ذلك بالايجاب، وذلك لعدة أسباب منها ما يلي:

ان عملية التغيير الكبرى تتطلب وضعاً نفسياً فريداً في القائد الممارس لها مشحوناً بالشعور بالتفوق، والإحساس بضآلة الكيانات الشامخة التي أُعِدَّ للقضاء عليها ولتحويلها حضارياً إلى عالم جديد، فبقدر ما يعمر قلب القائد المغير من شعور بتفاهة الحضارة التي يصارعها واحساس واضح بأنها مجرد نقطة على الخط الطويل لحضارة الانسان، يصبح أكثر قدرة من الناحية النفسية على مواجهتها والصمود في وجهها ومواصلة العمل ضدها حتى النصر.

ومن الواضح ان الحجم المطلوب من هذا الشعور النفسي يتناسب مع حجم التغيير نفسه، وما يراد القضاء عليه من حضارة وكيان، فكلما كانت المواجهة لكيان أكبر ولحضارة أرسخ وأشمخ؛ تطلبت زخماً أكبر من هذا الشعور النفسي المفعم.

ولما كانت رسالة اليوم الموعود تغيير عالم مليء بالظلم والجور، تغييراً شاملاً بكل قيمه الحضارية وكياناته المتنوعة فمن الطبيعي أن تفتش هذه الرسالة عن شخص أكبر في شعوره النفسي من ذلك العالم كله، عن شخص ليس من مواليد ذلك العالم الذين نشأوا في ظل تلك الحضارة التي يراد تقويضها واستبدالها بحضارة العدل والحق، لأن من ينشأ في ظل حضارة راسخة، تعمر الدنيا بسلطانها وقيمها وأفكارها، يعيش في نفسه الشعور بالهيبة تجاهها لأنه ولد وهي قائمة، ونشأ صغيراً وهي جبارة، وفتح عينيه على الدنيا فلم يجد سوى أوجهها المختلفة، وخلافاً لذلك شخص يتوغل في التاريخ عاش الدنيا قبل أن ترى تلك الحضارة النور، ورأى الحضارات الكبيرة سادت العالم الواحدة تلو الأخرى ثم تداعت وانهارت، رأى ذلك بعينيه ولم يقرأه في كتاب تاريخ ثم رأى الحضارة التي يقدر لها أن تكوّن الفصل الأخير من قصة الانسان قبل اليوم الموعود، رآها وهي بذور صغيرة لا تكاد تتبين، ثم شاهدها وقد اتخذت مواقعها في احشاء المجتمع البشري تتربص الفرصة لكي تنمو وتظهر، ثم عاصرها وقد بدأت تنمو وتزحف وتصاب بالنكسة تارة ويحالفها التوفيق تارة اخرى، ثم واكبها وهي تزدهر وتتعملق وتسيطر بالتدريج على مقدّرات عالم بكامله، فان شخصاً من هذا القبيل عاش كل هذه المراحل بفطنة وانتباه كاملين ينظر الى هذا العملاق ــ الذي يريد أن يصارعه ــ من زاوية ذلك الامتداد التاريخي الطويل الذي عاشه بحسه لا في بطون كتب التاريخ فحسب، ينظر اليه لا بوصفه قدراً محتوماً، ولا كما كان ينظر «جان جاك روسو» الى

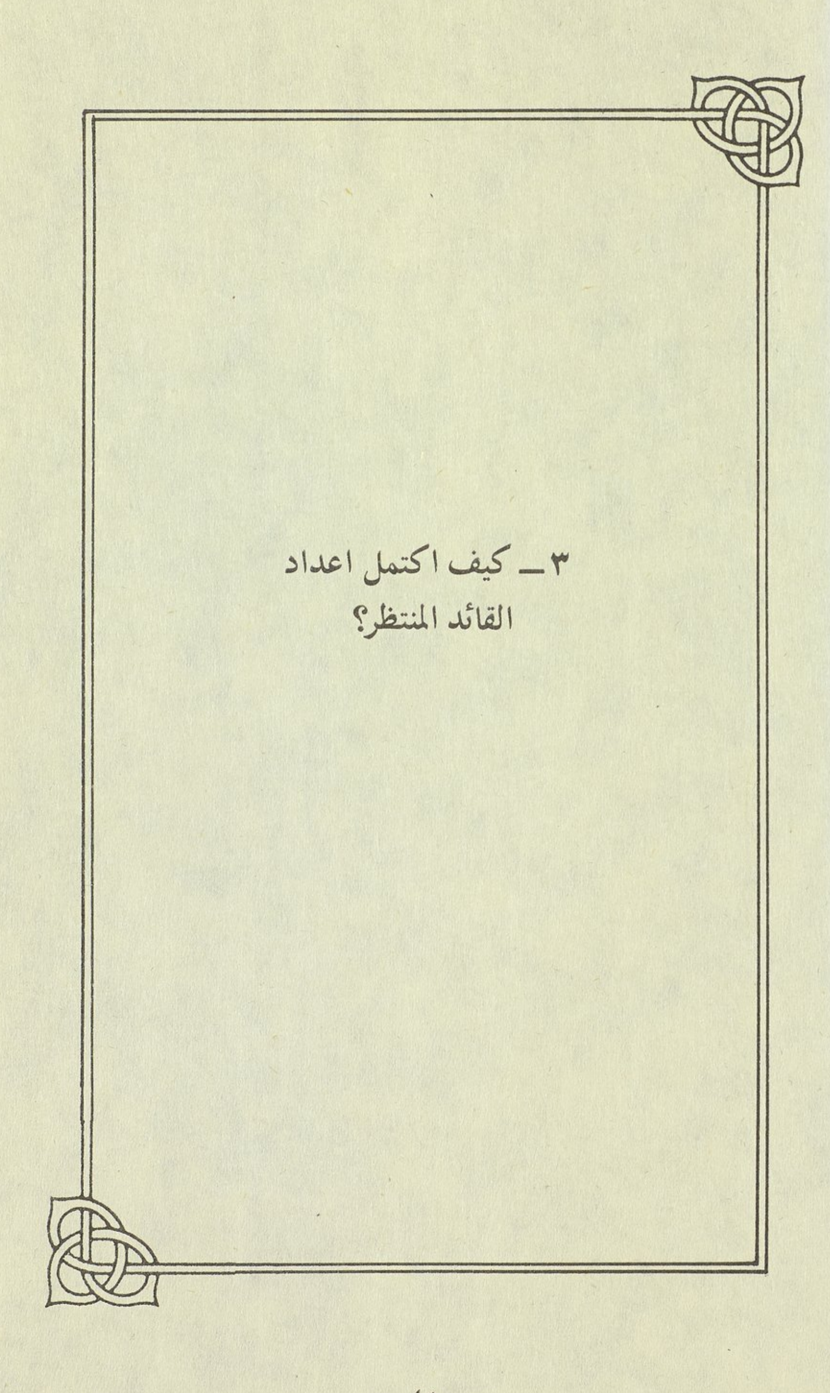
الملكية في فرنسا، فقد جاء عنه انه كان يرعبه مجرد ان يتصور فرنسا بدون ملك، على الرغم من كونه من الدعاة الكبار فكرياً وفلسفياً إلى تطوير الوضع السياسي القائم وقتئذٍ، لأن «روسو» هذا نشأ في ظل الملكية وتنفس هواءها طيلة حياته، وأما هذا الشخص المتوغل في التاريخ، فله هيبة التاريخ وقوة التاريخ والشعور المفعم بأن ماحوله من كيان وحضارة، وليد يوم من أيام التاريخ تهيأت له الأسباب فوجد وستهيأ الأسباب فيزول، فلا يبقى منه شيء كما لم يكن يوجد منه شيء بالأمس القريب أو البعيد، وان الأعمار التاريخية للحضارات والكيانات مهما طالت فهي ليست إلا أياماً قصيرة في عمر التاريخ الطويل.

هل قرأت سورة الكهف؟ وهل قرأت عن أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وواجهوا كياناً وثنياً حاكماً، لا يرحم ولايتردد في خنق أي بذرة من بذور التوحيد والارتفاع عن وحدة الشرك، فضاقت نفوسهم ودب اليها اليأس وسدّت منافذ الأمل أمام أعينهم، ولجأوا إلى الكهف يطلبون من الله حلاً لمشكلتهم بعد ان اعيتهم الحلول وكبر في نفوسهم ان يظل الباطل يحكم، و يظلم و يقهر الحق و يُصَفِّي كل من يخفق قلبه للحق، هل تعلم ماذا صنع الله تعالى بهم؟ انه أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين في ذلك الكهف، ثم بعثهم من نومهم ودفع بهم إلى مسرح الحياة، بعد ان كان ذلك الكيان الذي بهرهم بقوته وظلمه، قد تداعى وسقط وأصبح تاريخاً لا يرعب أحداً ولا يحرك ساكناً، كل ذلك لكي يشهد هؤلاء الفتية مصرع ذلك الباطل الذي كبر عليهم امتداده وقوته واستمراره، و يروا انتهاء أمره باعينهم و يتصاغر الباطل في نفوسهم، ولئن تحققت لأصحاب الكهف هذه الرؤية الواضحة بكل ما تحمل من زخم وشموخ نفسيين من خلال ذلك الحدث الفريد الذي مدد حياتهم ثلاثمائة سنة، فان الشيء نفسه يتحقق للقائد المنتظر من خلال عمره المديد الذي يتيح له أن يشهد العملاق وهو قزم والشجرة الباسقة وهي بذرة، والاعصار وهو مجرد نسمة.

أضف إلى ذلك أن التجربة التي تتيحها مواكبة تلك الحضارات المتعاقبة والمواجهة المباشرة لحركتها وتطوراتها لها أثر كبير في الاعداد الفكري وتعميق الخبرة القيادية لليوم الموعود، لأنها تضع الشخص المدخّر أمام ممارسات كثيرة للآخرين بكل ما فيها من نقاط الضعف والقوة ومن ألوان الخطأ والصواب وتعطي لهذا الشخص قدرة أكبر على تقييم الظواهر الاجتماعية بالوعي الكامل على اسبابها،

وكل ملابساتها التاريخية.

ثم ان عـمـلـيـة الـتغيير المدّخرة للقائد المنتظر تقوم على أساس رسالة معينة هـي رسـالـة الإسلام، ومن الطبيعي أن تتطلب العملية في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأولى، قد بنيت شخصيته بناءً كاملاً بصورة مستقلة ومنفصلة عـن مـؤثـرات الحـضـارة التي يـقـدر لليوم الموعود أن يحاربها وخلافاً لذلك الشخص الـذي يولد و ينشأ في كنف هذه الحضارة وتتفتح افكاره ومشاعره في اطارها، فانه لا يـتـخـلـص غـالـبـاً مـن رواسب تلك الحضارة ومرتكزاتها، وان قاد حملة تغييرية ضـدهـا، فـلـكي يضمن عدم تأثر القائد المدّخر بالحضارة التي اعد لاستبدالها لابد أن تـكـون شـخـصيته قد بنيت بناءً كاملاً في مرحلة حضارية سابقة هي أقرب ما تـكـون في الـروح الـعـامـة، ومـن نـاحية المبدأ الى الحالة الحضارية التي يتجه اليوم الموعود إلى تحقيقها بقيادته.



٣ ــ كيف اكتمل اعداد القائد المنتظر؟

ونأتي الآن إلى السؤال الثالث القائل: كيف اكتمل إعداد القائد المنتظر مع انه لم يعاصر اباه الامام العسكري الا خمس سنوات تقريباً وهي فترة الطفولة التي لا تكفي لانضاج شخصية القائد فما هي الظروف التي تكامل من خلالها؟

والجواب: ان المهدي «عليه السلام» خلف أباه في امامة المسلمين، وهذا يعني انه كان اماماً بكل ما في الامامة من محتوى فكري وروحي في وقت مبكر جداً من حياته الشريفة.

والامامة المبكرة ظاهرة مسبقة وَلِيَها عدد من آبائه عليهم السلام، فالامام محمد بن علي الجواد(ع) تولى الامامة وهو في الثامنة من عمره والامام علي بن محمد الهادي تولى الامامة وهو في التاسعة من عمره والامام أبو محمد الحسن العسكري والد القائد المنتظر تولى الامامة وهو في الثانية والعشرين من عمره، ويلاحظ ان ظاهرة الامامة المبكرة بلغت ذروتها في الامام المهدي(ع) والامام الجواد(ع) ونحن نسميها ظاهرة لأنها كانت بالنسبة إلى عدد من آباء المهدي «عليه السلام» تشكل مدلولاً حسياً عملياً، عاشه المسلمون ووعوه في تجربتهم مع الامام بشكل وآخر، ولا يمكن أن نطالب باثبات لظاهرة من الظواهر أوضح وأقوى من تجربة امة. ونوضح ذلك ضمن النقاط التالية:

أ ــ لم تكن امامة الامام من أهل البيت مركزاً من مراكز السلطان والنفوذ التي تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن و يدعمها النظام الحاكم كإمامة الخلفاء الفاطميين، وخلافة الخلفاء العباسيين، وانما كانت تكتسب ولاء قواعدها الشعبية الواسعة عن طريق التغلغل الروحي والاقناع الفكري لتلك القواعد بجدارة هذه الامامة لزعامة الإسلام وقيادته على أسس روحية وفكرية.

ب ــ ان هذه القواعد الشعبية بنيتُ منذ صدر الإسلام، وازدهرت واتسعت على عهد الامامين الباقر والصادق «عليهما السلام» واصبحت المدرسة التي رعاها هذان الامامان، في داخل هذه القواعد تشكل تياراً فكرياً واسعاً، في العالم الإسلامي يضم المئات من الفقهاء والمتكلمين والمفسرين والعلماء في مختلف ضروب المعرفة الاسلامية والبشرية المعروفة وقتئذٍ، حتى قال الحسن بن علي الوشا: اني دخلت مسجد الكوفة فرأيت فيه تسعمائة شيخ كلهم يقولون حدثنا جعفر بن محمد.

ج ــ ان الشروط التي كانت هذه المدرسة وما تمثله من قواعد شعبية في المجتمع الإسلامي، تؤمن بها وتتقيد بموجبها في تعيين الامام والتعرف على كفاءته للامامة شروط شديدة، لأنها تؤمن بأن الامام لا يكون اماماً إلا إذا كان أعلم علماء عصره.

د ــ ان المدرسة وقواعدها الشعبية كانت تقدم تضحيات كبيرة في سبيل الصمود على عقيدتها في الامامة، لأنها كانت في نظر الخلافة المعاصرة لها تشكل خطاً عدائياً، ولو من الناحية الفكرية على الأقل، الأمر الذي أدى إلى قيام السلطات وقتئذٍ و باستمرار تقريباً بحملات من التصفية والتعذيب، فقتل من قتل، وسجن من سجن، ومات في ظلمات المعتقلات المئات. وهذا يعني ان الاعتقاد بامامة أئمة أهل البيت كان يكلفهم غالياً ولم يكن له من الاغراءات سوى ما يحس به المعتقد أو يفترضه من التقرب إلى الله تعالى والزلفى عنده.

هـ ــ ان الأئمة الذين دانت هذه القواعد لهم بالامامة لم يكونوا معزولين عنها ولا متقوقعين في بروج عالية شأن السلاطين مع شعوبهم، ولم يكونوا يحتجبون عنهم إلا ان تحجبهم السلطة الحاكمة بسجن أو نفي، وهذا ما نعرفه من خلال العدد الكبير من الرواة والمحدثين عن كل واحد من الأئمة الاحد عشر ومن خلال ما نقل من المكاتبات التي كانت تحصل بين الامام ومعاصريه وما كان الامام

يقوم به من اسفار من ناحية، وما كان يبثه من وكلاء في مختلف انحاء العالم الاسلامي من ناحية أخرى وما كان قد اعتاده الشيعة من تفقد أئمتهم وزيارتهم في المدينة المنورة عندما يؤمون الديار المقدسة من كل مكان لاداء فريضة الحج، كل ذلك يفرض تفاعلا مستمراً بدرجة واضحة بين الامام وقواعده الممتدة في ارجاء العالم الإسلامي بمختلف طبقاتها من العلماء وغيرهم.

و ـ ان الخلافة المعاصرة للأئمة(ع) كانت تنظر اليهم وإلى زعامتهم الروحية والامامية بوصفها مصدر خطر كبير على كيانها ومقدراتها، وعلى هذا الاساس بذلت كل جهودها في سبيل تفتيت هذه الزعامة وتحملت في سبيل ذلك كثيراً من السلبيات، وظهرت احياناً بمظاهر القسوة والطغيان حينما اضطرها تأمين مواقعها إلى ذلك، وكانت حملات الاعتقال والمطاردة مستمرة للأئمة أنفسهم على الرغم مما يخلفه ذلك من شعور بالألم أو الإشمئزاز عند المسلمين وللناس الموالين على اختلاف درجاتهم.

إذا أخذنا هذه النقاط الست بعين الاعتبار، وهي حقائق تاريخية لا تقبل الشك، أمكن أن نخرج بنتيجة وهي: ان ظاهرة الامامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية ولم تكن وهماً من الأوهام، لأن الامام الذي يبرز على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه اماماً روحياً وفكرياً للمسلمين، و يدين له بالولاء والامامة كل ذلك التيار الواسع لا بد أن يكون على قدر واضح وملحوظ بل وكبير من العلم والمعرفة وسعة الأفق والتمكن من الفقه والتفسير والعقائد، لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنع تلك القواعد الشعبية بامامته مع ما تقدم من أن الأئمة كانوا في مواقع تتيح لقواعدهم التفاعل معهم، وللأضواء المختلفة ان تسلط على حياتهم وموازين شخصيتهم. فهل ترى ان صبياً يدعو إلى امامة نفسه و ينصب منها علماً للإسلام وهو على مرأى ومسمع من جماهير قواعده الشعبية فتؤمن به وتبذل في سبيل ذلك الغالي من أمنها وحياتها بدون أن تكلف نفسها اكتشاف حاله و بدون أن تهزها ظاهرة هذه الامامة المبكرة لاستطلاع حقيقة الموقف وتقييم هذا الصبي الامام؟ وهب ان الناس لم يتحركوا لاستطلاع الموقف، فهل يمكن أن تمر المسألة أياماً وشهوراً بل اعواماً دون أن تتكشف الحقيقة على الرغم من التفاعل الطبيعي المستمر بين الصبي الامام وسائر الناس؟ وهل من المعقول أن يكون صبياً في فكره

وعلمه حقاً ثم لا يبدو ذلك من خلال هذا التفاعل الطويل؟

وإذا افترضنا ان القواعد الشعبية لامامة أهل البيت لم يتح لها أن تكتشف واقع الأمر فلماذا سكتت الخلافة القائمة ولم تعمل لكشف الحقيقة إذا كانت في صالحها؟ وما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الامام الصبي صبياً في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان، وما كان أنجحه من اسلوب ان تقدم هذا الصبي إلى شيعته وغير شيعته على حقيقته وتبرهن على عدم كفاءته للامامة والزعامة الروحية والفكرية. فلئن كان من الصعب الاقناع بعدم كفاءة شخص في الأربعين أو الخمسين قد احاط بقدر كبير من ثقافة عصره لتسلم الامامة فليس هناك صعوبة في الاقناع بعدم كفاءة صبي اعتيادي مهما كان ذكياً وفطناً للامامة بمعناها الذي يعرفه الشيعة الاماميون، وكان هذا أسهل وأيسر من الطرق المعقدة وأساليب القمع والمجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذٍ.

ان التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة، عن اللعب بهذه الورقة هو انها أدركت ان الامامة المبكرة ظاهرة حقيقية وليست شيئاً مصطنعاً.

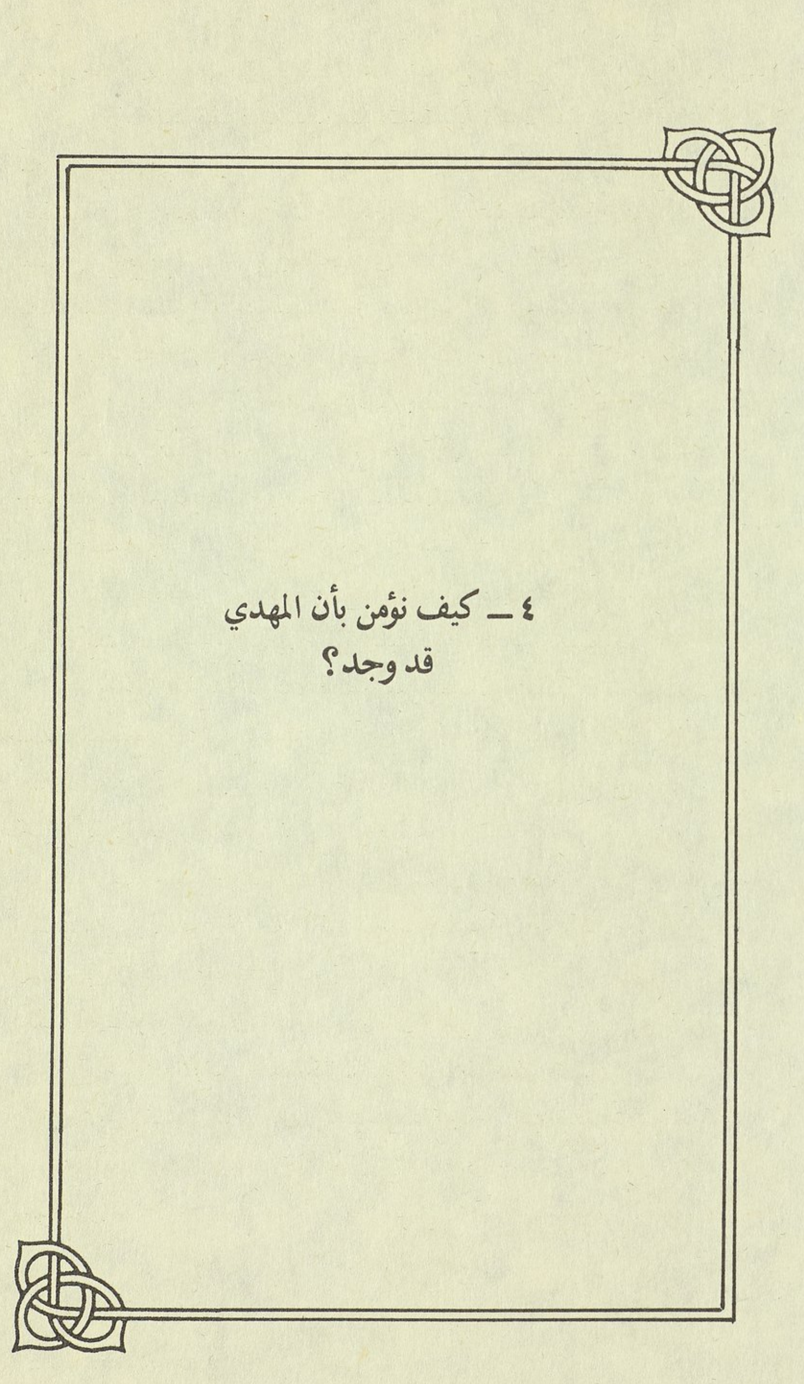
والحقيقة انها أدركت ذلك بالفعل بعد ان حاولت أن تلعب بتلك الورقة فلم تستطع، والتأريخ يحدثنا عن محاولات من هذا القبيل وفشلها بينما لم يحدثنا اطلاقاً عن موقف تزعزعت فيه ظاهرة الامامة المبكرة أو واجه فيه الصبي الامام احراجاً يفوق قدرته أو يزعزع ثقة الناس فيه.

وهذا معنى ما قلناه من أن الامامة المبكرة ظاهرة واقعية في حياة أهل البيت وليست مجرد افتراض، كما ان هذه الظاهرة الواقعية لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء الذي امتد عبر الرسالات والزعامات الربانية و يكفي مثالاً لظاهرة الامامة المبكرة في التراث الرباني لأهل البيت(ع) يحيى (ع) إذ قال الله سبحانه وتعالى: **(يَايَحيىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الحكْمَ صَبِيّاً)**[1].

ومتى ثبت ان الامامة المبكرة ظاهرة واقعية ومتواجدة فعلا في حياة أهل البيت لم يعد هناك اعتراض فيما يخصّ امامة المهدي «عليه السلام» وخلافته لأبيه وهو صغير.

---

١ ــ مريم: ١٢.



٤ ــ كيف نؤمن بأن المهدي قد وجد؟

ونصل الآن إلى السؤال الرابع وهو يقول: هب ان فرضية القائد المنتظر ممكنة بكل ما تستبطنه من عمر طويل وامامة مبكرة وغيبة صامتة فان الامكان لا يكفي للاقتناع بوجوده فعلا. فكيف نؤمن فعلا بوجود المهدي؟ وهل تكفي بضع روايات تنقل في بطون الكتب عن الرسول الاعظم(ص) للاقتناع الكامل بالامام الثاني عشر على الرغم مما في هذا الافتراض من غرابة وخروج عن المألوف بل كيف يمكن أن نثبت ان للمهدي وجوداً تاريخياً حقاً وليس مجرد افتراض توفرت ظروف نفسية لتثبيته في نفوس عدد كبير من الناس؟

والجواب: ان فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم الى الافضل قد جاءت في احاديث الرسول الاعظم عموماً وفي روايات أئمة أهل البيت خصوصاً، وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى اليها الشك، وقد أحصي أربعمائة حديث عن النبي(ص) من طرق اخواننا أهل السنة[1] كما أحصي مجموع الأخبار الواردة في الامام المهدي من طرق الشيعة والسنه فكان أكثر من ستة آلاف رواية[2]، وهذا رقم احصائي كبير لايتوفر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهية التي لايشك فيها مسلم عادة.

---

١ ـ يلاحظ كتاب «المهدي» للسيد (العم) الصدر قدّس الله روحه الزكية.

٢ ـ يلاحظ كتاب (منتخب الأثر في الامام الثاني عشر) للشيخ لطف الله الصافي.

واما تجسيد هذه الفكرة في الامام الثاني عشر «عليه الصلاة والسلام» فهذا ما توجد مبررات كافية وواضحة للاقتناع به.

ويمكن تلخيص هذه المبررات في دليلين: أحدهما إسلامي والآخر علمي.

فبالدليل الإسلامي نثبت وجود القائد المنتظر، و بالدليل العلمي نبرهن على ان المهدي ليس مجرد اسطورة وافتراض بل هو حقيقة ثبت وجودها بالتجربة التاريخية.

أما الدليل الاسلامي، فيتمثل في مئات الروايات الواردة عن رسول الله(ص) والأئمة من أهل البيت(ع) والتي تدل على تعيين المهدي وكونه من أهل البيت ومن ولد فاطمة ومن ذرية الحسين وانه التاسع من ولد الحسين وان الخلفاء اثنا عشر، فان هذه الروايات تحدد تلك الفكرة العامة وتشخصها في الامام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، وهي روايات بلغت درجة كبيرة من الكثرة والانتشار على الرغم من تحفظ الأئمة «عليهم السلام» واحتياطهم في طرح ذلك على المستوى العام وقاية للخلف الصالح من الاغتيال أو الاجهاز السريع على حياته.

وليست الكثرة العددية للروايات هي الأساس الوحيد لقبولها، بل هناك اضافة إلى ذلك مزايا وقرائن تبرهن على صحتها، فالحديث النبوي الشريف عن الأئمة أو الخلفاء أو الأمراء بعده وانهم اثنا عشر اماماً أو خليفة أو أميراً ــ على اختلاف متن الحديث في طرقه المختلفة ــ قد أحصى بعض المؤلفين رواياته فبلغت أكثر من مئتين وسبعين رواية مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنة بما في ذلك البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود ومسند أحمد ومستدرك الحاكم على الصحيحين. و يلاحظ هنا أن البخاري الذي نقل هذا الحديث كان معاصراً للإمام الجواد والامامين الهادي والعسكري وفي ذلك مغزى كبير، لأنه يبرهن على ان هذا الحديث قد سجل عن النبي(ص) قبل أن يتحقق مضمونه وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً، وهذا يعني انه لايوجد أي مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متأثراً بالواقع الامامي الاثني عشري وانعكاساً له، لأن الاحاديث المزيفة التي تنسب إلى النبي(ص) وهي انعكاسات أو تبريرات لواقع متأخر زمنياً لا تسبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذي يشكل انعكاساً له، فما دمنا قد ملكنا الدليل المادي على ان الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر، وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع

الامامي الا ثني عشري، أمكننا أن نتأكد من أن هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع وإنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لاينطق عن هوى، فقال: ان الخلفاء بعدي اثناعشر. وجاء الواقع الامامي الا ثنا عشري ابتداءً من الامام علي وانتهاءً بالمهدي ليكون التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث النبوي الشريف.

وأما الدليل العلمي، فهو يتكون من تجربة عاشتها أمة من الناس فترة امتدت سبعين سنة تقريباً وهي فترة الغيبة الصغرى. ولتوضيح ذلك نمهد باعطاء فكرة موجزة عن الغيبة الصغرى:

ان الغيبة الصغرى تعبر عن المرحلة الأولى من امامة القائد المنتظر «عليه الصلاة والسلام» فقد قدّر لهذا الامام منذ تسلمه للامامة أن يستتر عن المسرح العام و يظل بعيداً باسمه عن الاحداث وان كان قريباً منها بقلبه وعقله، وقد لوحظ ان هذه الغيبة إذا جاءت مفاجأة حققت صدمة كبيرة للقواعد الشعبية للامامة في الأمة الإسلامية، لأن هذه القواعد كانت معتادة على الا تصال بالامام في كل عصر والتفاعل معه والرجوع اليه في حل المشاكل المتنوعة فإذا غاب الامام عن شيعته فجأة وشعروا بالانقطاع عن قيادتهم الروحية والفكرية سببت هذه الغيبة المفاجئة الاحساس بفراغ دفعي هائل قد يعصف بالكيان كله و يشتت شمله، فكان لابد من تمهيد لهذه الغيبة لكي تألفها هذه القواعد بالتدريج وتكيف نفسها شيئاً فشيئاً على أساسها، وكان هذا التمهيد هو الغيبة الصغرى التي اختفى فيها الامام المهدي عن المسرح العام غير انه كان دائم الصلة بقواعده وشيعته عن طريق وكلائه ونوابه والثقات من أصحابه الذين يشكلون همزة الوصل بينه و بين الناس المؤمنين بخطه الامامي. وقد أشغل مركز النيابة عن الامام في هذه الفترة أربعة ممن أجمعت تلك القواعد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم التي عاشوا ضمنها وهم كمايلي:

١ ــ عثمان بن سعيد العمري.

٢ ــ محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٣ ــ ابوالقاسم الحسين بن روح.

٤ ــ ابوالحسن علي بن محمد السمري.

وقد مارس هؤلاء الأربعة مهام النيابة بالترتيب المذكور وكلما مات أحدهم خلفه الآخر الذي يليه بتعيين من الامام المهدي(ع).

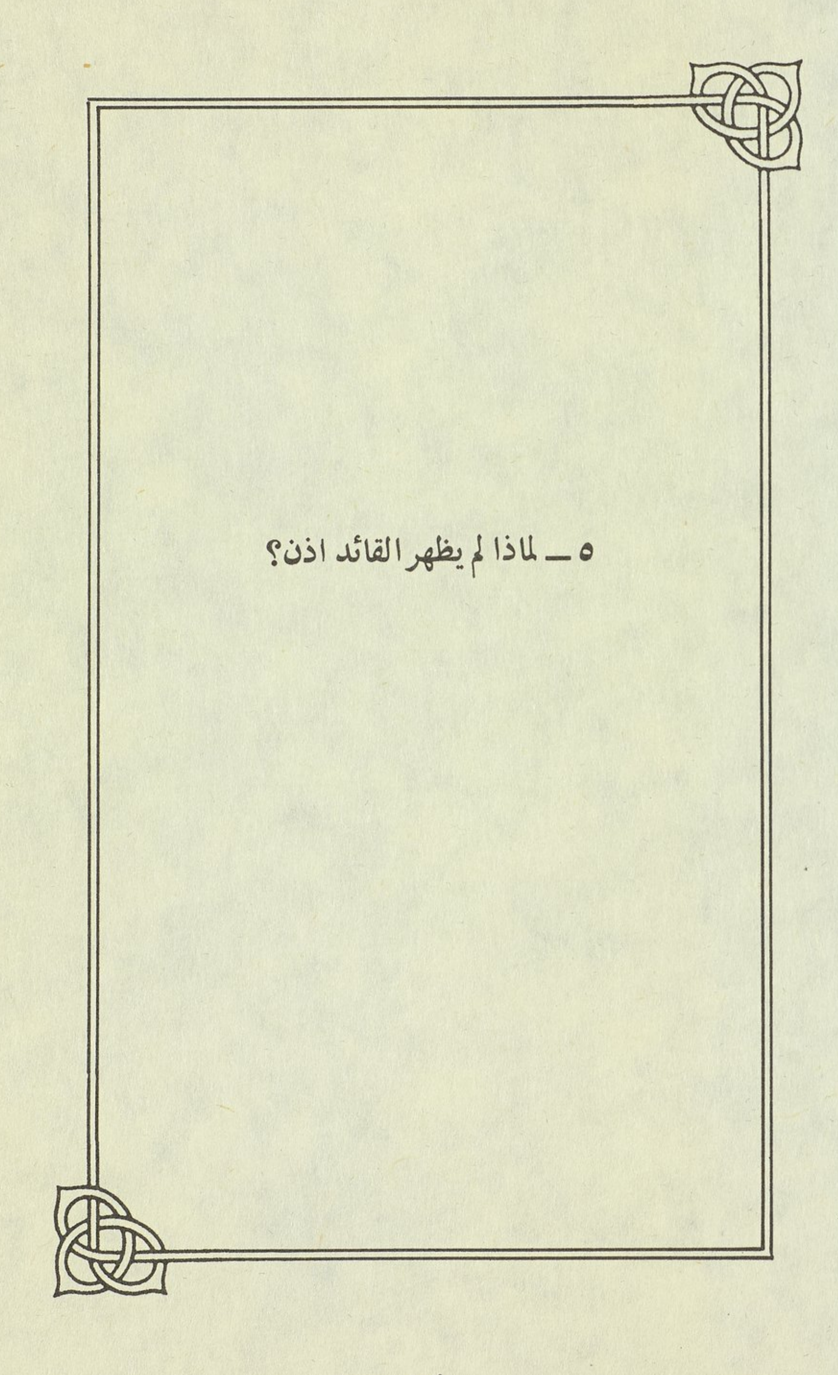
وكان النائب يتصل بالشيعة ويحمل اسئلتهم إلى الامام، و يعرض مشاكلهم عليه ويحمل اليهم اجوبته شفهية أحياناً وتحريرية في كثير من الأحيان، وقد وجدت الجماهير التي فقدت رؤية امامها العزاء والسلوة في هذه المراسلات والاتصالات غير المباشرة. ولاحظت ان كل التوقيعات والرسائل كانت ترد من الامام المهدي(ع) بخط واحد وسليقة واحدة طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عاماً، وكان السمري هو آخر النواب فقد اعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى التي تتميز بنواب معينين، وابتداء الغيبة الكبرى التي لا يوجد فيها اشخاص معينون بالذات للوساطة بين الامام القائد والشيعة، وقد عبر التحول من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصغرى لأهدافها وانتهاء مهمتها لأنها حصنت الشيعة بهذه العملية التدريجية عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائل بسبب غيبة الامام، واستطاعت أن تكيف وضع الشيعة على أساس الغيبة وتعدهم بالتدريج لتقبل فكرة النيابة العامة عن الامام وبهذا تحولت النيابة من أفراد منصوصين إلى خط عام وهو خط المجتهد العادل البصير بأمور الدنيا والدين تبعاً لتحول الغيبة الصغرى إلى غيبة كبرى.

والآن بامكانك أن تقدر الموقف في ضوء ما تقدم لكي تدرك بوضوح ان المهدي حقيقة عاشتها أمة من الناس وعبر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم مع الآخرين، ولم يلحظ عليهم أحد كل هذه المدة تلاعباً في الكلام أو تحايلاً في التصرف أو تهافتاً في النقل. فهل تتصور ــ بربك ــ ان بامكان اكذوبة أن تعيش سبعين عاماً ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها و يظلون يتعاملون على أساسها وكأنها قضية يعيشونها بأنفسهم ويرونها بأعينهم دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشك ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ و يكسبون من خلال ما يتصف به سلوكهم من واقعية ثقة الجميع و إيمانهم بواقعية القضية التي يدعون انهم يحسونها و يعيشون معها؟!

لقد قيل قديماً ان حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً ان من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن تعيش اكذوبة بهذا الشكل وكل هذه المدة وضمن كل تلك العلاقات والأخذ والعطاء ثم تكسب ثقة جميع من حولها.

وهكذا نعرف ان ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية

لا ثبـات مـا لهـا مـن واقع موضوعي والتسليم بالامام القائد بولادته وحياته وغيبته واعلانـه العـام عـن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد.



٥ ــ لماذا لم يظهر القائد اذن؟

لماذا لم يظهر القائد إذن طيلة هذه المدة؟ وإذا كان قد أَعَدَّ نفسه للعمل الاجتماعي، فما الذي منعه عن الظهور على المسرح في فترة الغيبة الصغرى أو في اعقابها بدلاً عن تحويلها إلى غيبة كبرى، حيث كانت ظروف العمل الاجتماعي والتغييري، وقتئذٍ أبسط وأيسر وكانت صلته الفعلية بالناس من خلال تنظيمات الغيبة الصغرى تتيح له أن يجمع صفوفه و يبدأ عمله بداية قوية ولم تكن القوى الحاكمة من حوله قد بلغت الدرجة الهائلة من القدرة والقوة التي بلغتها الانسانية بعد ذلك من خلال التطور العلمي والصناعي؟

والجواب: ان كل عملية تغيير اجتماعي يرتبط نجاحها بشروط وظروف موضوعية لايتأتى لها أن تحقق هدفها إلا عندما تتوفر تلك الشروط والظروف.

وتتميز عمليات التغيير الاجتماعي التي تفجرها السماء على الأرض بأنها لا ترتبط في جانبها الرسالي بالظروف الموضوعية، لأن الرسالة التي تعتمدها عملية التغيير هنا ربانية ومن صنع السماء لا من صنع الظروف الموضوعية، ولكنها في جانبها التنفيذي تعتمد الظروف الموضوعية و يرتبط نجاحها وتوقيتها بتلك الظروف. ومن أجل ذلك انتظرت السماء مرور خمسة قرون من الجاهلية حتى انزلت آخر رسالاتها على يد النبي محمد(ص) لأن الارتباط بالظروف الموضوعية للتنفيذ كان يفرض تأخرها على الرغم من حاجة العالم اليها منذ فترة طويلة قبل

ذلك.

والظروف الموضوعية التي لها أثر في الجانب التنفيذي من عملية التغيير منها مايشكل المناخ المناسب والجو العام للتغيير المستهدف، ومنها ما يشكل بعض التفاصيل التي تتطلبها حركة التغيير من خلال منعطفاتها التفصيلية. فبالنسبة إلى عملية التغيير التي قادها مثلاً لينين في روسيا بنجاح كانت ترتبط بعامل من قبيل قيام الحرب العالمية الأولى وتضعضع القيصرية، وهذا ما يساهم في ايجاد المناخ المناسب لعملية التغيير، وكانت ترتبط بعوامل أخرى جزئية ومحدودة من قبيل سلامة لينين مثلاً في سفره الذي تسلل فيه إلى داخل روسيا وقاد الثورة، إذ لو كان قد اتفق له أي حادث يعيقه لكان من المحتمل أن تفقد الثورة بذلك قدرتها على الظهور السريع على المسرح.

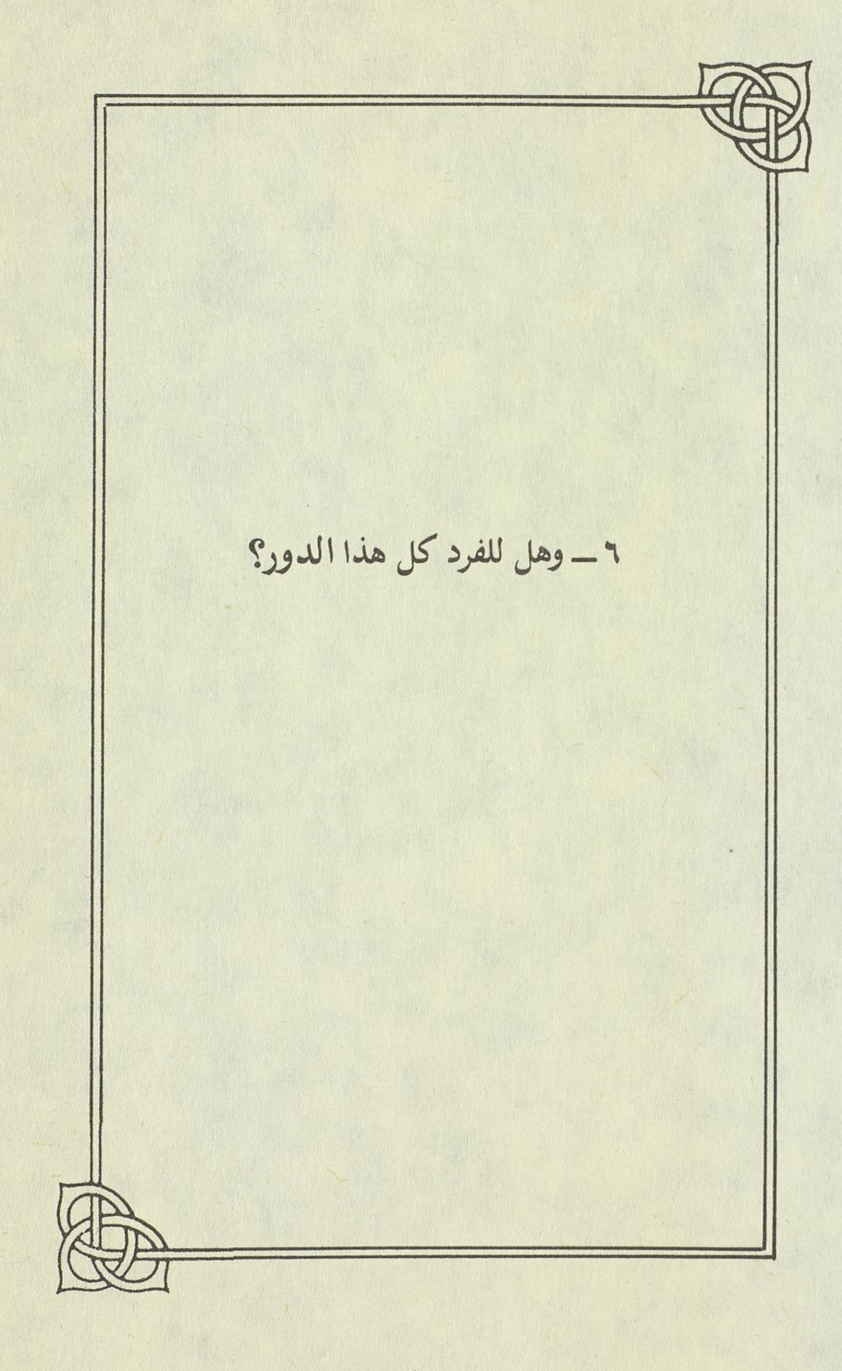
وقد جرت سنة الله تعالى التي لا تجد لها تحويلاً في عمليات التغيير الرباني على التقيد من الناحية التنفيذية بالظروف الموضوعية التي تحقق المناخ المناسب والجو العام لإنجاح عملية التغيير، ومن هنا لم يأت الإسلام إلا بعد فترة من الرسل وفراغ مرير إستمر قروناً من الزمن.

فعلى الرغم من قدرة الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ على تذليل كل العقبات والصعاب في وجه الرسالة الربانية وخلق المناخ المناسب لها خلقاً بالاعجاز لم يشأ أن يستعمل هذا الاسلوب، لأن الامتحان والابتلاء والمعاناة التي من خلالها يتكامل الانسان يفرض على العمل التغييري الرباني أن يكون طبيعياً وموضوعياً من هذه الناحية، وهذا لا يمنع من تدخل الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ احياناً فيما يخص بعض التفاصيل التي لا تكوّن المناخ المناسب وانما قد يتطلبها أحياناً التحرك ضمن ذلك المناخ المناسب، ومن ذلك الامدادات والعنايات الغيبية التي يمنحها الله تعالى لأوليائه في لحظات حرجة فيحمي بها الرسالة وإذا بنار نمرود تصبح برداً وسلاماً على ابراهيم، وإذا بيد اليهودي الغادر التي ارتفعت بالسيف على رأس النبي(ص) تشل وتفقد قدرتها على الحركة، وإذا بعاصفة قوية تجتاج مخيمات الكفار والمشركين الذين احدقوا بالمدينة في يوم الخندق وتبعث في نفوسهم الرعب، إلا أن هذا كله لا يعدو التفاصيل وتقديم العون في لحظات حاسمة بعد ان كان الجو المناسب والمناخ الملائم لعملية التغيير على العموم قد تكوّن بالصورة الطبيعية ووفقاً للظروف الموضوعية.

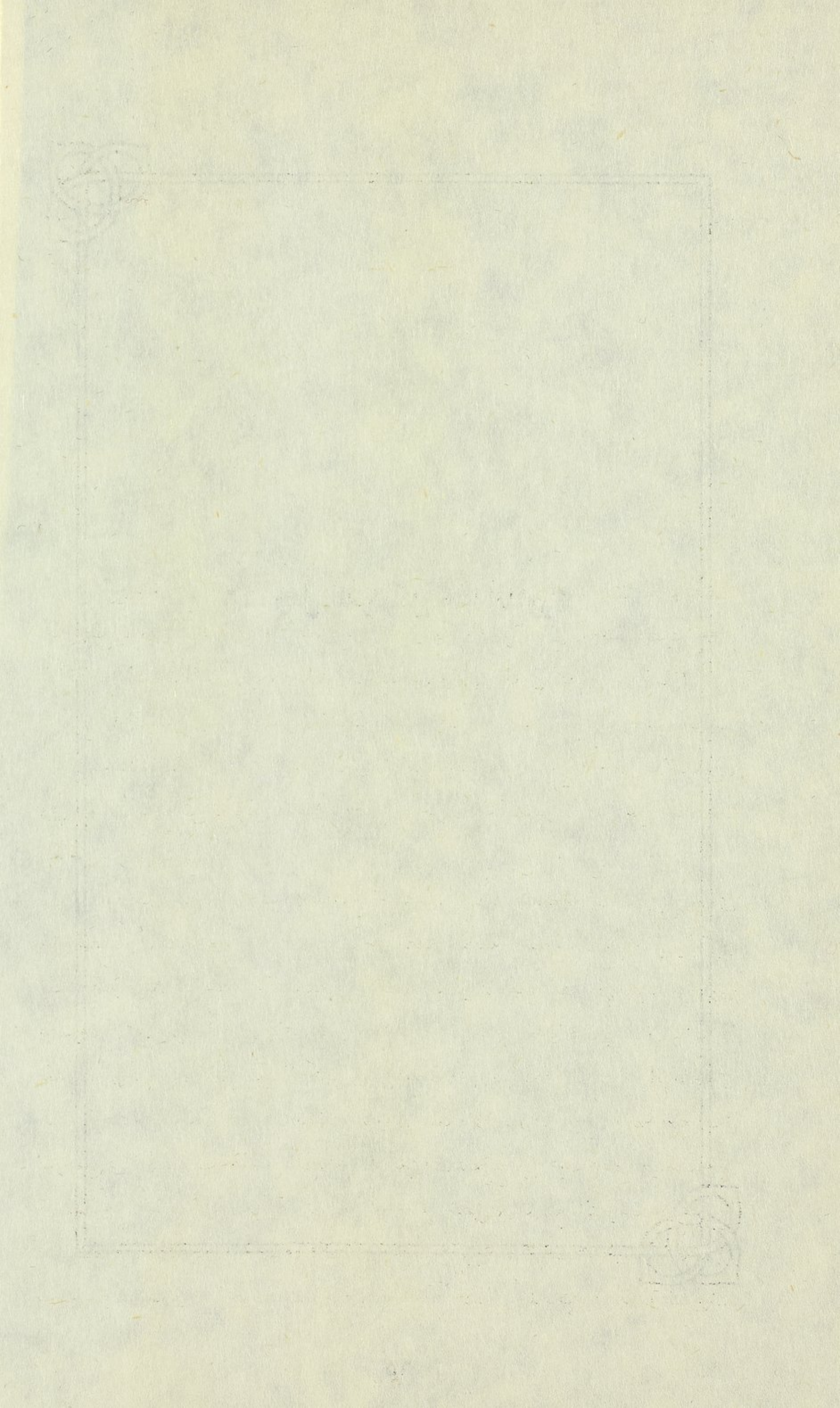
وعلى هذا الضوء ندرس موقف الامام المهدي «عليه السلام» لنجد ان عملية التغيير التي اعد لها ترتبط من الناحية التنفيذية كأي عملية تغيير اجتماعي اخرى بظروف موضوعية تساهم في توفير المناخ الملائم لها، ومن هنا كان من الطبيعي أن توقت وفقاً لذلك. ومن المعلوم ان المهدي لم يكن قد اعد نفسه لعمل اجتماعي محدود، ولا لعملية تغيير تقتصر على هذا الجزء من العالم أو ذاك، لأن رسالته التي أدخر لها من قبل الله ـ سبحانه وتعالى ـ هي تغيير العالم تغييراً شاملاً، واخراج البشرية كل البشرية من ظلمات الجور إلى نور العدل، وعملية التغيير الكبرى هذه لا يكفي في ممارستها مجرد وصول الرسالة والقائد الصالح و إلا لتمت شروطها في عصر النبوة بالذات، و إنما تتطلب مناخاً عالمياً مناسباً وجواً عاماً مساعداً يحقق الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير العالمية.

فمن الناحية البشرية يعتبر شعور انسان الحضارة بالنفاد عاملاً أساسياً في خلق ذلك المناخ المناسب لتقبل رسالة العدل الجديدة، وهذا الشعور بالنفاد يتكون و يترسخ من خلال التجارب الحضارية المتنوعة التي يخرج منها انسان الحضارة مثقلاً بسلبيات مابنى، مدركاً حاجته إلى العون، متلفتاً بفطرته إلى الغيب أو إلى المجهول. ومن الناحية المادية يمكن أن تكون شروط الحياة المادية الحديثة أقدر من شروط الحياة القديمة في عصر كعصر الغيبة الصغرى على انجاز الرسالة على صعيد العالم كله، وذلك بما تحققه من تقريب المسافات والقدرة الكبيرة على التفاعل بين شعوب الأرض وتوفير الأدوات والوسائل التي يحتاجها جهاز مركزي لممارسة توعية لشعوب العالم وتثقيفها على أساس الرسالة الجديدة.

وأما ما أشير اليه في السؤال من تنامي القوى والاداة العسكرية التي يواجهها القائد في اليوم الموعود كلما أجّل ظهوره، فهذا صحيح. ولكن ماذا ينفع نمو الشكل المادي للقوة مع الهزيمة النفسية من الداخل وانهيار البناء الروحي للانسان الذي يملك كل تلك القوى والأدوات؟ وكم من مرة في التاريخ انهار بناء حضاري شامخ بأول لمسة غازية لأنه كان منهاراً قبل ذلك وفاقداً الثقة بوجوده والقناعة بكيانه والاطمئنان إلى واقعه.



٦ ـ وهل للفرد كل هذا الدور؟



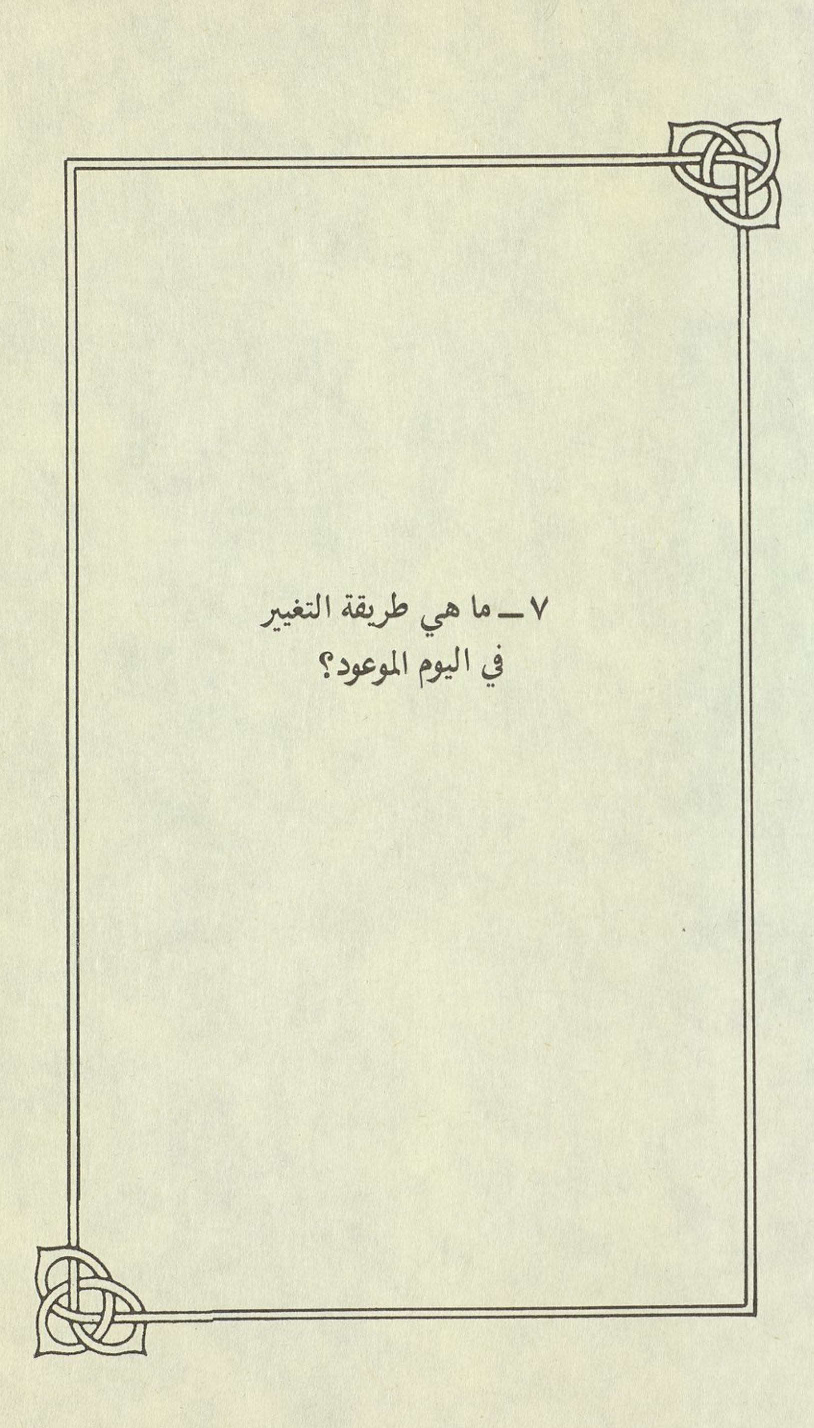
ونأتي إلى سؤال آخر في تسلسل الاسئلة المتقدمة وهو السؤال الذي يقول: هل للفرد مهما كان عظيماً القدرة على انجاز هذا الدور العظيم؟ وهل الفرد العظيم إلا ذلك الإنسان الذي ترشحه الظروف ليكون واجهة لها في تحقيق حركتها؟

والفكرة في هذا السؤال ترتبط بوجهة نظر معينة للتاريخ تفسره على أساس ان الانسان عامل ثانوي فيه،والقوى الموضوعية المحيطة به هي العامل الأساسي، وفي اطار ذلك لن يكون الفرد في أفضل الأحوال إلا التعبير الذكي عن اتجاه هذا العامل الأساسي.

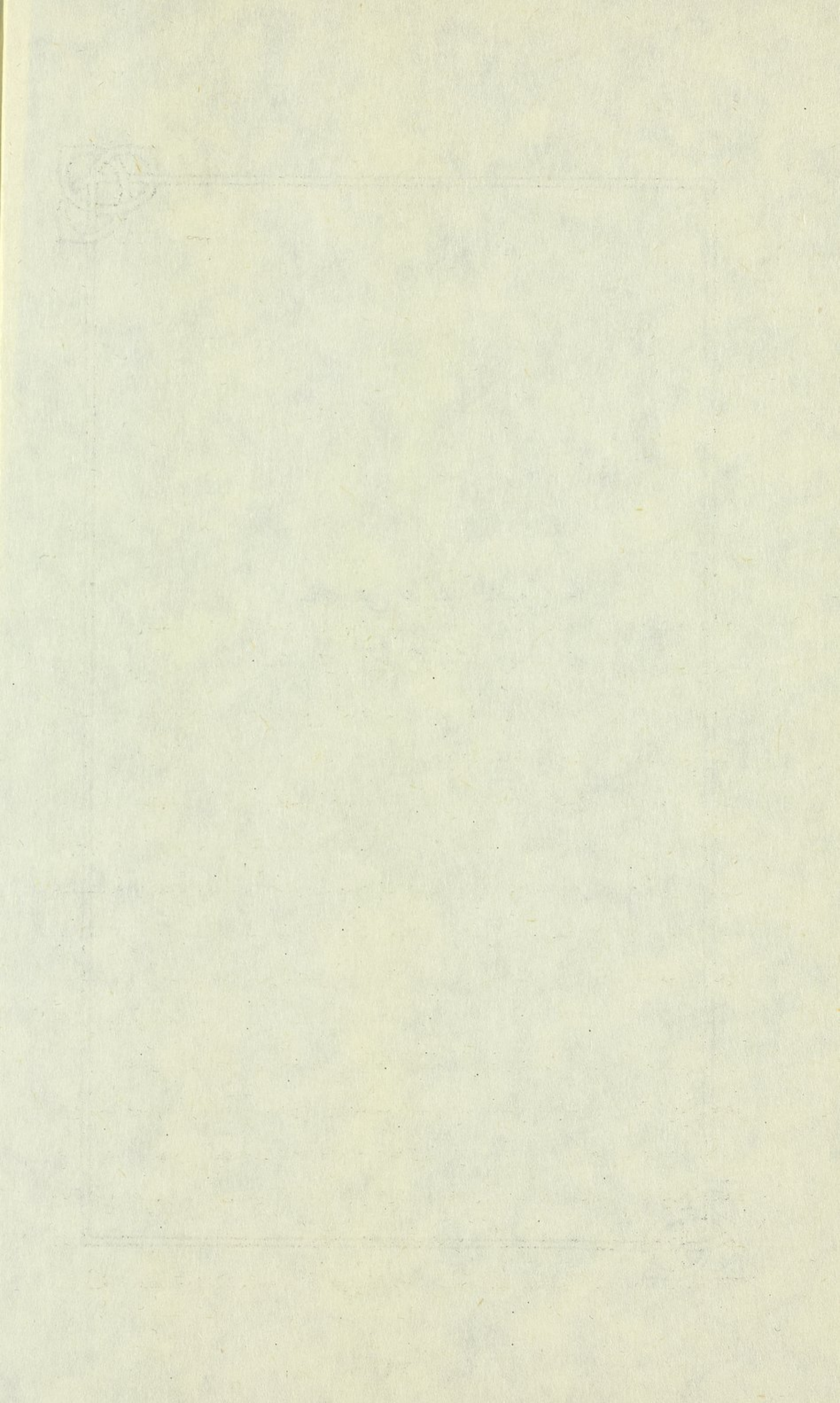
ونحن قد أوضحنا في مواضع أخرى من كتبنا المطبوعة ان التاريخ يحتوي على قطبين. أحدهما الانسان، والآخر القوى المادية المحيطة به. وكما تؤثر القوى المادية وظروف الانتاج والطبيعة في الانسان يؤثر الانسان أيضاً فيما حوله من قوى وظروف، ولايوجد مبرر لافتراض ان الحركة تبدأ من المادة وتنتهي بالإنسان إلا بقدر ما يوجد مبرر لافتراض العكس، فالإنسان والمادة يتفاعلان على مر الزمن،وفي هذا الإطار بامكان الفرد أن يكون أكبر من ببغاء في تيار التاريخ، و بخاصة حين ندخل في الحساب عامل الصلة بين هذا الفرد والسماء. فإن هذه الصلة تدخل حينئذٍ كقوة موجهة لحركة التاريخ. وهذا ما تحقق في تاريخ النبوات وفي تاريخ النبوة الخاتمة بوجه خاص، فان النبي محمداً(ص) بحكم صلته الرسالية بالسماء تسلم بنفسه زمام الحركة التاريخية وأنشأ مداً حضارياً لم يكن بامكان الظروف

الموضوعية التي كانت تحيط به أن تتمخض عنه بحال من الاحوال، كما أوضحنا ذلك في المقدمة الثانية للفتاوى الواضحة.

و ما أمكن أن يقع على يد الرسول الأعظم يمكن أن يقع على يد القائد المنتظر من أهل بيته الذي بشر به ونوه عن دوره العظيم.



٧ ـ ما هي طريقة التغيير في اليوم الموعود؟



و نصل في النهاية إلى السؤال الأخير من الأسئلة التي عرضناها، وهو السؤال عن الطريقة التي يمكن أن نتصور من خلالها ما سيتم على يد ذلك الفرد من انتصار حاسم للعدل وقضاء على كيانات الظلم المواجهة له؟

والجواب المحدد على هذا السؤال يرتبط بمعرفة الوقت والمرحلة التي يقدر للامام المهدي(ع) أن يظهر فيها على المسرح،وامكان افتراض ما تتميز به تلك المرحلة من خصائص وملابسات لكي ترسم في ضوء ذلك الصورة التي قد تتخذها عملية التغيير والمسار الذي قد تتحرك ضمنه، وما دمنا نجهل المرحلة ولا نعرف شيئاً عن ملابساتها وظروفها فلا يمكن التنبؤ العلمي بما سيقع في اليوم الموعود وان امكنت الافتراضات والتصورات التي تقوم في الغالب على أساس ذهني لا على أسس واقعية عينية.

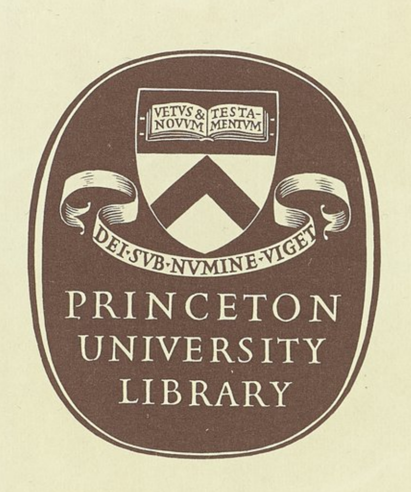
وهناك افتراض أساسي واحد بالامكان قبوله على ضوء الأحاديث التي تحدثت عنه والتجارب التي لوحظت لعمليات التغيير الكبرى في التاريخ، وهو افتراض ظهور المهدي «عليه السلام» في أعقاب فراغ كبير يحدث نتيجة نكسة وأزمة حضارية خانقة. وذلك الفراغ يتيح المجال للرسالة الجديدة أن تمتد وهذه النكسة تهيء الجو النفسي لقبولها، وليست هذه النكسة مجرد حادثة تقع صدفة في تاريخ الحضارة الإنسانية وإنما هي نتيجة طبيعية لتناقضات التاريخ المنقطع عن

الله ــ سبحانه وتعالى ــ التي لا تجد لها في نهاية المطاف حلاً حاسماً، فتشتعل النار التي لا تبقي ولا تذر و يبرز النور في تلك اللحظة ليطفئ النار و يقيم على الأرض عدل السماء.

وسأقتصر على هذا الموجز من الأفكار تاركاً التوسع فيها وما يرتبط بها من تفاصيل إلى الكتاب القيم الذي أمامنا، فإننا بين يدي موسوعة جليلة في الامام المهدي «عليه السلام» وضعها أحد أولادنا وتلامذتنا الأعزاء وهو العلامة البحاثة السيد محمد الصدر ــ حفظه الله تعالى ــ وهي موسوعة لم يسبق لها نظير في تأريخ التصنيف الشيعي حول المهدي «عليه السلام» في احاطتها وشمولها لقضية الامام المنتظر من كل جوانبها، وفيها من سعة الأفق وطول النفس العلمي واستيعاب الكثير من النكات واللفتات ما يعبر عن الجهود الجليلة التي بذلها المؤلف في انجاز هذه الموسوعة الفريدة. وإني لأحس بالسعادة وأنا أشعر بما تملؤه هذه الموسوعة من فراغ وما تعبر عنه من فضل ونباهة وألمعية وأسال المولى ــ سبحانه وتعالى ــ أن يقر عيني به و يريني فيه علماً من أعلام الدين. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين. وقد وقع الابتداء في كتابة هذه الوريقات في اليوم الثالث عشر من جمادي الثانية سنة ١٣٩٧هـ ووقع الفراغ منها عصر اليوم السابع عشر من الشهر نفسه.

والله ولي التوفيق.

محمد باقر الصدر
النجف الأشرف


VETUS & NOVUM
TESTA-MENTUM
DEI·SUB·NUMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
MAY - JUNE 1989
We're Quality Bound

منظمة الاعلام الاسلامي
معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
طهران- ص.ب- ١٤١٥٥/١٣١٣
الجمهورية الاسلامية في ايران

السعر : ٩٠ ريال